محاضرات في ..

تاريخ أوروبا الحديث

الفرقة الثانية – عام – جغرافيا

خبز وطنك أفضل من بسكويت أجنبي "فولتير"

أستاذ المقرر

أ.م. د. محمد سيد إسماعيل

1444هـ – 2023م

بيـانـات أساسية

الكلية: الآداب **الفرقة:**

التخصص: التاريخ **عدد الصفحات:**

القسم التابع له المقرر : قسم التاريخ.

الرموز المستخدمة

فيديو

للمشاهدة.

نص للقراءة والدراسة.

رابط

خارجي أسئلة للتفكير

والتقييم الذاتي.

أنشطة ومهام.

تواصل عبر مؤتمر

الفيديو.

عصر النهضة الأوروبية

قسم المؤرخون تاريخ أوربا إلى ثلاثة عصور (القديم والمتوسط والحديث)"[1]. أما معني "النهضة" فهي "حركة بعث التراث القديم أو إحياء ذلك التراث" أي أنها تعني البعث الجديد أو حرفياً الولادة الجديدة، أما في معناها الشامل فهى تعني تحرر العقل الإنساني من قيود العصور الوسطى. وينظر إليه على أنه عصر قائم بذاته كونه عصر التغيرات الكبيرة التي أصابت المجتمع الأوربي في الفترة الواقعة بين العصور الوسطى والعصر الحديث.

جاءت حركة النهضة من خارج الكنيسة؛ وكانت علمانية وحاربت زيادة سلطة الكنيسة، وكانت عقلانية ورفضت وجود الكنيسة كواسطة بين الفرد والخالق، ولقد عملت هذه الحركة على إضعاف الكنيسة، وساعدت على إستمرار التغير الاجتماعي والفكري، ولقد اعتمدت حركة النهضة على سكان المدن ورجال المهن والتجارة، والذين تزايدت الثروات في أيديهم، والأموال في أكياسها لديهم أو في المصارف، وهم رجال الطبقة الوسطى، أو الطبقة البرجوازية التي ستتزايد أهميتها، وفي الوقت الذي تقل فيه أهمية النبلاء والسادة الإقطاعيين، ولذلك فإن هذه المدن هي التي ستكون مراكز الإشعاع الفكري والعلمي والفني في كل غرب أوربا، وكما أن رأس المال يُنشد الحرية في تعامله، فإن صاحب رأس المال لا يمكنه أن يتعامل إلا طبقاً لمصالحه، وليس طبقاً لعقيدة معينة،

خاصة إذا ما شعر أن وضعية الكنيسة تؤثر على مصالحه، وتفرض عليه التزامات لا يقرها العقل، ولذلك فإنهم حاربوا من أجل حرية الرأي، وحرية الشخصية، وحرية التعامل، وعملوا بذلك على تحطيم القيود التي كانت سائدة طوال العصور الوسطى، وظهرت هذه الحركة بمظاهرها المختلفة؛ وأول ما ظهرت فى إيطاليا[24].

مع النهضة جاءت النظرية التي تقول بأن مهمة الحكومة هي السهر على مصالح الأمة، فبدأ الناس يعتقدون أن أصلح الحكومات أقدرها على أداء هذه المهمة، وبدأ ما نسميه بالعلوم السياسية وظهر الإيطإلى "ميكافيللى" بآرائه السياسية في كتابه "الأمير"[11] الذي درسه كل من شغلته السياسة، كما انتفع به كثير من ساسة العصور الوسطى، ولذا فإن ملوك أوربا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ساروا على نسقه[12]، والذي يتضمن دراسة واسعة عن إلاستبداد من الناحيتين النظرية والعملية[13]. وقد اعترض ميكافيللي على منازعة زعماء الكنيسة ودفعهم بأن الحكام السياسيين الزمنيين ينبغي لهم الخضوع للسلطة العليا لهيئة الكهنوت الروحية، وأصر على ضرورة استقلالهم عنها[14]، وقد ركز ميكافيللى على الدولة السياسية باعتبار أنها مجتمع ينظم في استقلال عن الكنيسة، كما ركز في كتابه الأمير على الثقافة بصفة عامة والفنون والآداب والدين.

شهدت النهضة ارتقاء في الفنون الجميلة، وخاصة فني النحت والتصوير، ويرجع الفضل في ذلك إلى الإيطاليين، ومن رواد هذا الفن القرن السادس عشر "ميخائيل أنجلو و "دوناتللو" "ليوناردو دافنشى. كما بدأت الدول القومية تأخذ في النمو، ولكن في خطوات بطيئة ومضنية، وقد ظهرت في انجلترا أولاً حيث كانت الظروف ملائمة لنشأتها، ثم في إسبانيا والبرتغال وفرنسا وفي الولايات الكبرى من مجموعة الدويلات الألمانية، ومع بداية القرن السادس عشر توطدت دعائم النظم القومية في انجلترا وفرنسا وإسبانيا. وفي مجال السياسة الخارجية يعتبر النصف الثاني من القرن الخامس عشر من الفترات المهمة والحاسمة في تاريخ أوربا، فالدولة البيزنطية قد انهارت بسقوط القسطنطينية عام 1453م، وبدأت مرحلة جديدة بين الإسلام والمسيحية تتمثل في الدولة العثمانية ودول أوربا كلها، غير أن المد الإسلامي في الجهات الجنوبية الشرقية من أوربا قد تزامن مع انحسار في الأجزاء الجنوبية الغربية مثال ذلك سقوط غرناطة في عام 1492م[10].

أفسحت النهضة للنساء مجالاً، وزادت في قيمتهن، لأن أهم ظاهرة في النهضة الإيطالية عبادة الجمال، وإحلال الفروق محل التقشف، وترك الأفكار المحزنة، والعناية بصحة الجسم ونشاطه فكثرت مناقشات السيدات في هذه الموضوعات التي تناسبهن، وقد تنوع نشاط النساء حتى شمل الرقص والغناء ودراسة الفلسفة والآداب القديمة. كما تميزت هذه الفترة بظهور بعض الكتاب والأدباء الذين حرروا عقولهم من قيود

العصور الوسطى مثل الإيطالي "دانتي اليجيري" أول من استعمل اللغة الإيطالية في التأيف؛ وكتابه الشهير "الكوميديا الإلهية" وهو عبارة عن رحلة خيالية إلى الجحيم و"المطهر" و"الجنة"، زار فيها العالم الآخر، ويمكن اعتبار الكوميديا مرآة العصر الذي عاش فيه دانتي، فهي تصور كل القيم والأفكار التي سبقت عصر دانتي، ويؤكد بعض الباحثين أن دانتي تأثر في كتابتها بـ "رسالة الغفران" لأبى العلاء المعري من ناحية الفكرة، وأن اختلفت من حيث البناء والأهداف والتفاصيل والمضمون[26].

بدأت روح البحث والنقد على الخرافات الذائعة والعقائد المضللة، بل قادت إلى التهجم عن الكنيسة ونقد رجال الدين، وطرح أفكارهم في كثير من الأحيان، ونتيجة لهذا التطور الفكري، ذاع كثير من النظريات العلمية الجديدة كفكرة كروية الأرض التي قام العالم الفلكي البولندي " كوبر نيكس" بنشرها. وكان العالم الإيطالي "جاليليو" أول من استعمل المنظار في رصد الكواكب، وأيد رأي كوبر نيكس، ولما كانت نتائج كشوفه مخالفة لآراء الكنيسة وقتئذ، ثارت في وجهه، وألقت القبض عليه وحاكمته، فاضطر أمام هذا التعسف الشديد أن ينزل عن آرائه في الظاهر، وكان لروح البحث وحرية التفكير والتحرر من قيود العصور الوسطى أن حدثت عدة اختراعات مثل اختراع البارود وإستخدامه في الحرب الذي قلب الأنظمة الحربية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، أيضاً الإهتداء إلى استعمال بيت الأبرة "البوصلة" والإسطرلاب، يرجع إليه الفضل في تشجيع الملاحين على الإقدام ومواجهة الأخطار في

سبيل تحقيق الغايات، مما أدى إلى الكشوف الجغرافية التي قلبت أوضاع العلم، كما أن اختراع "جوتنبرج الألماني الطباعة بحروف متحركة في منتصف القرن الخامس عشر، أزال العقبات التي كانت قائمة في سبيل انتشار العلم وتوسيع نطاق النهضة، وكان الإنجيل أول كتاب طبع في عام 1455م يعد أكبر اختراع في العصور الحديثة وقد أحدث انقلاباً عظيماً في عالم الكتابة والآداب. كان انشغال مفكرو عصر النهضة بالماضى من أجل الحاضر، وكانت أعمال "فرانسيس بيكون" حرباً على وجهة النظر المسيحية، وقام باتخاذ الخطوات الرئيسية اللازمة لتجاوز "الحركة الإنسانية الإيطالية" في إشارته إلى المستقبل، وكانت الحركة الإنسانية الإيطالية حركة انتقال نحو الحياة العصرية، والبعد عن النظرة الضيقة لمفكري العصور الوسطى[28].

تعد إيطاليا المهد الأول للنهضة في أوربا، حيث وصلت بها إلى حد الكمال والنضوج، ثم أخذت تنتشر منها إلى جهات أوربا المختلفة شيئاً فشيئاً، حتى عمت كل غربي أوربا[31]، ففي الفترة ما بين عام 1340م، وعام 1540م قامت المدن الإيطالية نتاجاً من الفن والبحث والأدب لم يشهده العالم منذ أمجاد أثينا القديمة[32]. ولعل أهم دليل على بدء النهضة في إيطاليا قبل غيرها من الدول الأوربية الأخرى هو تحرر المدن الإيطالية من سيطرة الإقطاع قبل غيرها من الدول الأخرى، وأصبحت عبارة عن دويلات صغيرة، وقد حكم هذه المدن حكام مطلقون. وقد تمثلت مظاهر النهضة في إيطاليا في الآتي:

جمع المخطوطات: لم يكن الإهتمام بالدراسات اللاتينية والإغريقية سوى مظهر واحد من مظاهر الحركة الإنسانية، أما المظهر الثانى فيتمثل في جمع المخطوطات القديمة التي غصت بها مكتبات الأديرة والكاتدرائيات، وقد أسهم أمراء الأسرات الحاكمة في المدن الإيطالية في جمع هذه المخطوطات والكتب القديمة النادرة، وأفدوا العملاء لهذا الغرض في أوربا والشرق،

إنشاء المكتبات العامة والخاصة: كان من الطبيعي أن يترتب على جمع الخطوطات القديمة، الإهتمام بإنشاء المكتبات العامة والخاصة، وهو المظهر الثاني للحركة الإنسانية؛ ففي مستهل الخامس عشر الميلادى جمعت "جير سان ماركو" في فلورنسا مكتبة احتوت على ثمانمائة من المخطوطات القديمة التي اشتراها بماله الأمير التاجر "كوزيمو دي ميدتشى" كما أنشأ في أواخر ذلك القرن مكتبة عظيمة في الفاتيكان (وهو قصر البابا في روما)، وقبل سقوط القسطنطينية، ترجمت كتب "أرسطو وأفلاطون وبلوتارك" إلى اللغة اللاتينية، وجاء بعض الإغريق إلى فلورنسا ليعلموا اللغة والفلسفة في جامعاتها، وكان هؤلاء العلماء هم الذين مهدوا لزملائهم الذين رحلوا إلى أوربا عام 1453م بعد سقوط القسطنطينية.

الأكاديميات: أو مجمعات العلم، حتى أن النصف الثاني من القرن الخامس عشر يعتبر عصر الأكاديميات، وكانت هذه الأكاديميات عبارة

عن مراكز أو حلقات يجتمع فيها عشرات الطلبة حول الأساتذة للإستماع والدراسة، وعن طريق الأكاديميات التي انتشرت في إيطاليا انتشرت الحركة الإنسانية، وأقدمها في عصر النهضة نشأ في نابولي على يد "ألفونسو الخامس" صاحب أراجونة الذي كان حاكماً على نابولي عام 1442م، وفي فلورنسا نشأت الأكاديمية ألفلورنسية أو الأكاديمية الأفلاطونية، وقد اهتمت بالدراسات الفلسفية الإغريقية خاصة الأفلاطونية.

تقدم علم التاريخ: أخذت الدراسة التاريخية على أساس المادة الموثوقة وليس على أساس الرواية والسماع، كما أخذت الدراسة التاريخية تصطبغ بالصبغة الزمنية، وتنتقل من يد رجال الدين إلى العلمانيين، وكان من أبرز مؤرخي عصر التهضة "لورنزو فلا". و"براتشيوليني" وفلافيو بلوندي الذي كتب واحداً وثلاثين كتاباً في تاريخ النصرانية ابتداء من سقوط الدولة النصرانية، ثم إينياس سلفير من بيكرولوميني الذي صار فيما بعد البابا بيوس الثاني (1405-1464)م ثم "جويتشارديني" "Guiccirdini" (1469-1542)م الذي كتب "تاريخ إيطاليا" ونيكولو ميكافيللي (1469-1542)م صاحب كتاب "تاريخ فلورنسا" والذي كتب في عام 1512م كتابه المشهور "الأمير" "U Principe" الذي يتضمن دراسة واسعة عن الإستبداد من الناحيتين النظرية والعملية.

تطور الفنون الجميلة: بالنسبة لفن الرسم فيعتبر الفن الأول لعصر النهضة في إيطاليا، وقد اصطبغ بصبغة دنيوية سافرة، وتحرر من قيود وتزمت العصور الوسطى، وتمثل ذلك في إبراز أجزاء جسم الإنسان وتصوير جمال الوجه والطبيعة، وقد تنافست المدن الإيطالية في هذا القرن، وبرزت فيها اثنتان هما: فلورنسا والبندقية. كان فن التصوير مقصوراً على موضوعات خاصة كالدينية أو الكنسية، وكانت مقيدة في أشكالها وأوضاعها وألوانها بشكل أدى إلى طمس شخصية الفنان، ولكن مع تطور النهضة تحرر الفنان وتمكن من رسم الطبيعة والتعبير عن مشاعره، وأفاد من دراسة جسم الإنسان والتشريح، ومن استخدام الألوان الزيتية وتحسينها، ولم يهمل الفنان الموضوعات الدينية، فجعل صور العذراء والقديسين تمثل رجالاً ونساءاً عاشوا في زمن الفنان. ومن أشهر صور ليوناردو "الجيوكندا" المعروفة أيضاً باسم "الموناليزا" نسبة إلى صاحبتهما، ومن أشهر صوره أيضاً صورة "العاصفة" وصورة "ميدوسا" الفتاة الجميلة. أما مايكل أنجلو فقد برع أيضاً إلى جانب الرسم في النحت وهندسة البناء والشعر الإيطالي، وبلغ في ذلك مستوى رفيعاً، ومن أهم أعماله في فن الرسم "صورة يوم الحساب" وهي تمثل البشر رجالاً ونساءاً وهم يخرجون من القبور عراة، وقد سادهم الإضطراب والفزع لما ينتظرهم من العقاب، والمسيح قائم غاضباً من على عرشه لما ارتكبه شعبه من الخطايا. ويعتبر من أعظم رسامي النهضة الفنان "رفاييللو" الذي جسد بفنه العبقرية االإيطالية، ونال حظوة لدى البابا ليو العاشر،

ومن أعماله "صلب المسيح"، و "تتويج العذراء"، و "التجلي"، و "مدرسة أثينا"؛ التي استوحاها من وصف دانتي لها في "الكوميديا الإلهية" وتمثل الفلاسفة والعلماء الأقدمين، وقد وقفوا في أوضاع مختلفة.

✶ عوامل جعلت من إيطاليا المهد الأول للنهضة

كانت مدن إيطاليا "فلورنسا ووجنوة والبندقية" مهيأة بموقعها ومركزها لاستقبال العلوم والفنون، فإن هذه المدن نفضت عنها أعباء العهد الإقطاعي كما سبقت الإشارة، وأصبحت مستقلة، لا سيد عليها غير القانون، وساعد الكفاح المستمر فيها على أعمال الفكر، وكثرت الثروة فيها بسبب اتساع تجارتها ووفرة صناعاتها، وانصرف طلاب العلم والفن إلى دراسة العلوم والآداب والفنون القديمة، ورأي الناس حولهم صوراً دقيقة الصنع، وأثاثاً فاخراً، وقصوراً شاهقة، فصرفوا المال لإشباع غاياتهم من الفن الجميل، وتخلص سكان هذه المدن من قيود العصور الوسطي.

مركز إيطاليا الجغرافي : إن وقوع إيطاليا في مركز متوسط على ساحل البحر المتوسط في عصر كان فيه هذا البحر مركز تجارة العالم، اكسبها أهمية لا تقدر، وقد أصبحت حلقة الاتصال بين أوروبا، وبلاد شرق البحر المتوسط، والشرق الأقصى، فاتسعت تجارتها ونمت صناعاتها، فكثر ثراء مدنها، كالبندقية وجنوة وفلورنسا وميلان، والثراء يولد الرغبة في الحرية، ويمهد السبيل للإشتغال بدراسة الفنون والعلوم والآداب.

ونعرف أن الحضارة الإسلامية كانت مزدهرة أثناء العصور الوسطي، وأنها أسهمت بنصيب وافر في ميادين العلوم والفكر والإنشاءات والطب والفلك وعلوم البحر، وكانت مراكز الحضارة الإسلامية موجودة في كل مكان، وكان أقربها إلى أوربا يتمثل في جامعات الأندلس في الغرب، وصقلية وتونس في الوسط، ومصر والشام في شرق البحر المتوسط، وكانت هذه المراكز المتقدمة للحضارة الإسلامية تحُيط بإيطاليا من كل اتجاه، كانت تعتبر معابراً ونقط اتصال علمي وحضاري، بين الشرق والغرب نحو قرنين من الزمان، وقف خلالها أهل أوربا على حضارة الرق، وجاء الكثير من طلبة العلم من الغرب إلى هذه المراكز يدرسون ويتعلمون ويقتبسون ويفكرون، الأمر الذي ساعد على ازدياد أهمية الموانى، علاوة على أهميتها العسكرية في الحروب الصليبية، وأهميتها الاقتصادية في التعامل في التجارة بين الشرق والغرب[47]. وكانت إيطاليا بفضل موقعها قريبة من أقاليم الدولة البيزنطية، فسهل على طلاب العلم من الإيطاليين أن ينزحزا إلى جهات هذه الدولة، كما سهل على علماء الدولة البيزنطية أن يفدوا إلى المدن الإيطالية كأساتذة زائرين وينتشروا العلم فيها ويكونوا شبه مدارس علمية في هذه المدن.

الحضارة الرومانية القديمة: ولما كانت إيطاليا مهد الحضارة الرومانية القديمة، فقد ساعد ذلك على أن تكون أسبق الدول إلى الدخول في ميدان النهضة، فقد كانت ذات الكنوز الدفينة في العلوم والآداب والنقش والتصوير والآثار والمسكوكات فجعل الإيطاليين على اتصال وثيق بآداب

الرومأن وفنونهم وقوانينهم، فتأثروا بذلك، وتطلعوا ليكونوا ورثة أجدادهم الورمان، في إحياء مجدهم الذي أتت عليه الأيام. ولما كانت اللغة الإيطالية قريبة من اللغة اللاتينية فقد سهل عليهم تعلمها، وبذلك استطاعوا الإستفادة من مخلفات أجدادهم في الآداب والعلوم والفنون فساعدهم ذلك على ظهور ميدان التقدم والنهضة قبل غيرهم من الشعوب الأوربية، فقد كانت إلاثار الرومانية القديمة بمثابة نماذج للإيطإليين[48].

مقر البابوية: كانت روما قِبلة العالم المسيحي الغربي، الأمر الذي كان يثير اعتزاز الإيطاليين بها، وكانت الكنيسة من القوي المضادة للتقدم والتطور، ولكن نزولاً إلى ميدان السياسة العلمانية والتوسع الإقليمي كإمارة ودولة، وصراعها مع الإمبراطورية، أدى بالتالي إلى ضعفها، وزاد من هذا الضعف انتشار الفساد فيها، الأمر الذي سهل مهاجمتها، ولقد أثرت الكنيسة من مواردها المالية من كل أوربا، وأخذ بعض البابوات المستنيرين ينفقون على نشر العلم وإنشاء المكتبات وجمع المخطوطات واقتناء الكتب وبناء الأكاديميات، وجمع القطع الفنية ن والعمل على تجميل مدينة روما، وأخذوا ينافسون أمراء إيطاليا في رعاية العلوم والفنون والآداب، وكان العلماء والفنانون يقصدونهم واشتهروا في التاريخ باسم بابوات النهضة، ومن أشهرهم نيقولا الخامس[49]، الذي وضع أسس مكتبة الفاتيكان في منتصف القرن الخامس عشر البابا ليو العاشر (1513-1521)م، أخذ في البدء في إنشاء كنيسة القديس بطرس. ولما كان الإيطاليون أقرب الشعوب إلى مقر البابوية، أصبحوا أشد من

غيرهم ألفة واختلاطاً برجال الكنيسة، وأكثرهم وقوفاً على نقائص رجال الدين وعيوبهم وأخطائهم، أوسعهم علماً بما دخل الدين من بدع وخرافات لا تمت إلى الدين بنسب، ولهذا لم يعودوا يخافون تهديد الكنيسة، ولا يخشون سلطة رجال الدين، كإخوأدانهم خارج إيطاليا، فكانوا لذلك أسبق الشعوب في تحطيم قيود العصور الوسطي وأغلال الكنيسة(50).

عمت النهضة كل إيطاليا، ولكن فلورنسا وروما قد برزتا في هذا المضمار، فقد كانت فلورنسا تحت حكم " اَل مدتشي "، وكانوا أمراء ديمقراطيين، ذاع سيطهم في المقدرة الإدارية، وفي معاضدة العلوم والفنون، فبرع تحت رعايتهم "دوناتلو"، والذي أبدع في تمثيل حياة الناس وبخاصة الأطفال في تمثايل من المرمر والبرنز، وقد بلغ "جيبرتي" "Ghiberti" حد السحر في الحفر والباز، ومن مظاهر النهضة في فلورنسا قيام مدارس على النمط الذي دعا إليه " روسو" فيما بعد، من بغض الترف وحب البساطة، والجمع بين البنين والبنات في مدرسة واحدة، بقصد تخريج أناس مثقفين بدنياً وروحياً لا مجرد فلاسفة.

ولما ظهر الفن نال تشجيع روما كذلك، وإستخدم للتعبيرعن الأفكار الدينية وإنشاء الكنائس الفخمة ولهذا نري البابا "يوليوس الثاني" يكلف "ميخائيل أنجلو" "Michael Angelo"، ونضع تصميم كنيسة تفوق كل ما سبقها في النسب والجمال، والتسلط على خيال الإنسان، فكانت كنيسة الرسول بطرس الجديدة مظهراً لعظمة الكنيسة العامة ووحدتها،

ودالة على سلطة رئيسها، وقد جمع البابوات في روما عدداً من نوابغ الفنانين قل أن يجتمع مثله في صعيد واحد.

ومن هؤلاء ميخائيل أنجلو صاحب الإبتكارات في النحت والتصوير والهندسة الحربية والمعمارية في عصر النهضة، وبلغ من حبه للجمال أن حرم على نفسه تصوير الوجوه، خشية أن يكلف بتصوير وجه قبيح، ومنهم أيضاً "روفائيل" وكان مهندساً معمارياً ومصوراً، من معاصري أنجلو، وكذلك "لورنز الفاخر" الذي ساند العلم وأجل العلماء وشجع الفنانين وأكمل إحياء اللغة الإيطالية الذي بدأه "دانتي"[51]، وكانت طبيعة الأهالي في إيطاليا- منذ اقدم العصور- تحب الحياة والجمال والتمتع، وإذا كانت الكنيسة قد فرضت عليهم نوعاً معيناً من السلوك والأخلاق خلال العصور الوسطي، إلا أنها كانت مستعدة للعودة إلى طبيعتها المنطلقة مع أول تغير للظروف من الألمان والسويسريين، ولقد ساعدهم الرخاء الاقتصادي وتشجيع الأمراء، مع جمال الطبيعة، وشعورهم بمجد روما القديم وآثار الحضارية، على المشاركة في التذوق، وفي الخلق والإبداع[52].

هوامش الفصل الأول

1-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: أصول العالم الحديث، دار القاهرة للطباعة، 1957، ص21.

2-د.ميلاد القرحي: تاريخ أوربا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية، الجامعة المفتوحة، ليبيا، 1995، ص 30.

3-د.عبد العظيم رمضان: تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث، جـ1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص 49.

4-د.جلال يحيي: عصر النهضة والعالم الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص82.

5-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 21.

6-د.سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا في العصور الوسطي" النهضتأن والحضارات والنظم "، جـ 2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978، ص 196.

7-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون، المرجع السابق، ص13.

8-د.ميلاد القرحي: المرجع السابق، ص 30-31.

9-د.عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: التاريخ إلأوربي الحديث والمعاصر، دار الكتاب الجامعي، ط3، 1986، ص18.

10-د.ميلاد القرحي: المرجع السابق، ص 29.

11-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 13،14، ولد مكيا فيللي في فلورانسا علم 1469م من عائلية نبيلة وتلقي التعليم السائد في ذلك العصر، فتعلم اللغة اللاتينية ودرس إلاثار الرومانية واليونانية، وكذلك التاريخ. للمزيد أنظر؛ د .جلال يحيي: المرجع السابق، ص 120.

12-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 19.

13-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص69.

14-البأن.ج. ويدجري: التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي، ترجمة؛ عبد العزيز توفيق جأويد، جـ2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 10 ،11.

15-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 14.

16-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص19.

17-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 95.

18-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 19، 20.

19-د.ميلاد القرحي: المرجع السابق، ص 28.

20-د.عبدالرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص20.

21- محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 14 ،15.

22- د.جلال يحيي: فجر التاريخ الحديث، دار الكتب الجامعية، 1976، ص 262 ، 263.

23-نفسه، ص 263 ،264.

24-نفسه ، ص 265 ،266 ، وأنظر له أيضاً؛عصر النهضة، ص 85 -87.

25-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 15 ،16.

26-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 14-16، د.سعيد عبد الفتاح عاشور، ص202 ،203.

27-محمدعبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 20، 21.

28-ألبان. ج. ويدجري: المرجع السابق، ص 13 ،14.

29-د.ميلادالقرحي: المرجع السابق، ص30.

30-ستيفن أوزمنت، فرأنك تيرنر: التاريخ من شتي جوانبه، ترجمة؛ د.أحمد حمدي محمود، جـ1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص 24.

31-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 22 -24 ،26.

32-د.القرحي: المرجع السابق، ص 32.

33-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 50.

34-نفسه، ص 63،64.

35-د.جلال يحيي: عصر النهضة؛ مرجع سابق، ص 96.

36-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 64 ،65.

37-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص96.

38-نفسه، ص 97، وأنظر أيضاً؛ د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 65-68.

39-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 69.

40-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص99.

41-د.عبد الحميد البطريق، د.عبد العزيز نوار: التاريخ إلأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر ڤيينا، بيروت، (ب،ت)، ص 34 ،35.

42-د.عبد العزيز محمد الشناوي: أوربا في مطلع العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982، ص 43-50.

43-د.عبد العظيم رمضان : المرجع السابق، ص 72 -73.

44-د.جلال يحيي : فجر التاريخ الحديث؛ المرجع السابق، ص279 ،280.

45- د.البطريق، د.نوار:المرجع السابق، ص 36-39، وأنظر أيضاً؛ د.جلال يحيي: عصر النهضة؛ مرجع سابق، ص 102 -106.

46-محمد عبد الرحيم وآخرون: المرجع السابق، ص 29-30.

47-د.جلال يحيي : فجر التاريخ الحديث؛ مرجع سابق، ص 267، وأنظر أيضاً؛ د.الشناوي: المرجع السابق، ص 3، 4، د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 27.

48-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 27 ،28.

49-د.جلال يحي : عصر النهضة؛ مرجع سابق، ص 91 ، 92.

50-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص29.

51-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 32 - 34.

52-د.جلال يحي : فجر التاريخ الحديث؛ رمجع سابق، ص 218 ،219.

الفصل الثاني

الكشوف الجغرافية

يرى بعض المؤرخين أن الكشوف الجغرافية هي الوجه المضيء للنهضة الأوروبية، بينما كان الاستعمار وما ارتبط به من ظواهر غير إنسانية وجهها المظلم والقبيح. فقد كان من أهم ما أفرزته لنا حركة الكشوف الجغرافية اكتشاف "العالم الجديد"، ومعني كلمة الجديدة أنه لم يكن معلوماً لنا من قبل حركة الكشوف، ومعنى ذلك أيضاً أنه قبل حركة الكشف الجغرافي كانت هناك عوالم أخرى مجهولة بالنسبة لنا.

معنى ذلك أن العالم الجديد له "تاريخ" قبل حركة الكشف الجغرافي. فالعالم الجديد لم يكن أرض خلاء لا مالك لها عندما قدم إليها المكتشفون الأوائل في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، إذ كانت الأرض المكتشفة حديثاً أرضاً عامرة بأهلها وحضارتها القديمة. لقد كان من أهم المظاهر الرئيسيه لعصر النهضه الأوروبية قيام حركه الكشوف الجغرافية، وقد نشطت هذه الحركه ابتداًء من النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وبلغت أوجها في القرن السادس عشر الميلادي، وقد تضافرت عوامل عديده ومتفرقه ادت الى ظهور تلك الحركه ولعل من أهمها: أن اعتاد الأوربيون الأسفار وتحمل المشاق، واتسعت معلوماتهم عن الأرض، وما بها من أقطار مختلفة، وقد لعبت

العوامل الدينية دوراً كبيراً في حركة الكشوف الجغرافية، كما لعبت دوراً كبيراً في تخطيط سياسة كل من البرتغال وإسبانيا أثناء حركة الكشوف.

أيضاً كانت أوربا في حاجة شديدة إلى البهارات والتوابل التي كانت تستورد من الشرق والتي كانت تصل أوربا عن طريق الخليج العربي والبحر المتوسط، والبحر الأحمر ثم دمشق والقاهرة، وإلى أوربا عن طريق المدن الإيطالية، وقد فكر الأوربيين في ايجاد طريق آخر يصلون من خلاله إلى الشرق وبالتالي إنهاء عملية الإحتكار هذه التجارة من قبل المماليك في مصر والبندقية، من المؤكد أن العوامل الاقتصادية قد لعبت دوراً مهما في دفع حركة الكشوف الجغرافية إلى الأمام[5].

كانت البرتغال أول دولة أوربية بدأت حركة الكشوف الجغرافية، وقد حظيت فكرة الكشف هذه بتأييد ورعاية الأمير البرتغالى المعروف "هنري الملاح" (1394-1460)م، وكان هنري ملماً بالجغرافيا والرياضيات التي عرفت أنذاك، كما كان مسيحياً متحمساً لنشر المسيحية بين سكان القارة الأفريقية، وقد قاد هنري حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية[10]، كما كان رئيساً لهيئة اليسوعيين "الجزويت" حتى مات عام 1460م[13]، وقد أثرت وفاة الأمير هنري الملاح في حركة الكشف الجغرافي، ولكنها لم تتوقف هذه الحركة بعد أن أثبتت التجارب للبرتغاليين أن أفريقيا تهيئ لهم مورداً غنياً بالرقيق في وقت وجد البرتغاليون في تجارة الرقيق بالذات مصدراً

هاماً للثروة، حتى أن هنري الملاح يعتبر مؤسس هذه التجارة في أوربا[14].

ارتبط اكتشاف أمريكا الشمالية باسم كولومبوس فإن معرفة أمريكا اللاتينية التصق باسم الرحالة الفلورنسى "أمريجو فيسبوتشي" والذي لعب دوراً كبيراً في اكتشاف العالم الجديد[25]، وعليه فقد أطلق اسم أمريكا على هذا العالم الجديد نسبة إليه، إذ أنه كان قد اصطحبه كولومبوس في إحدى رحلاته عام 1499م، والذي كان من أوائل من وصل إلى القارة الأمريكية، وكان أول من نادى بأن الأرض الجديدة لم تكن آسيا فأصر "لوران دي مدسيس" على اطلاق اسمه على العالم الجديد، رغم أن الأوربيون ظلوا لمدة طويلة يسمون العالم الجديد باسم الهند[26].

ويعتبر كولومبوس رائد حركة الكشوف الإسبانية، والذي كان من إيطاليا من جنوة، درس الجغرافيا والرياضيات والفلك[27]، بل وكان شاعراً ومسيحياً وواقعياً في نفس الوقت؛ كان شاعراً لأنه تأثر بالكتابات والروايات المنتشرة في عصره، ومسيحياً لأنه كان مستعد للقيام بحملة صليبية جديدة، وأما واقعياً لأنه اعتقد في أن الأرض كروية، وأنه يمكنه أن يجد في الغرب، ما قام أجداده بالبحث عنه الشرق[28].

وكانت الفكرة السائدة لدي الكثيرين في ذلك الوقت، أن الأرض منبسطة وليست كروية كما كان يعتقد، ولهذا أخذ هؤلاء ينبهونه على تهوره ويضحكون منه لجنونه، لكنه لم يعبأ بهم، وقد طلع لسامعيه بفكرة

جديدة جريئة من الوصول إلى شرق آسيا وبلاد الهند وبالسير غرباً عبر المحيط الأطلنطي، لا بالسير شرقاً أو جنوباً، لم يعبأ بالخرافات السائدة آنذاك عن هذا المحيط وما فيه من أجنة وشياطين ونيران، وكان هذا العمل يحتاج إلى المال والرجال، وليس لديه من ذلك شئ، فعرض مشروعة على ملوك أوربا وأمرائها الذين رفضوا تمويل مثل هذا المشروع، فأرسل أخاه لعرض المشروع على هنري السابع عام 1485م ملك انجلترا فتردد، فعرض المشروع على "فريديناند وإيزابيلا" ملكي إسبانيا فقبلا مساعدته رغم نصائح رجال الدين وكبار رجال الدولة برفض مشروعه وعقدا معه معاهدة وأنعما عليه برتبة أدميرال أعظم على كافة البحار والجزر والقارات التي يكتشفها، على أن تؤول هذه الممتلكات لأولاده من بعده[29].

وجهز كولمبس ثلاث سفن عليها تسعون بحاراً وثلاثون مسافراً بينهم طبيب وجراح ومترجم وموثق، وأقلع بها من "بالوس" جنوب جزائر كناريا، ثم إلى عرض البحر "المحيط" دون أن يعلم أنه بدأ حركة للاستعمار في تاريخ العالم، واستمرت الرحلة نحو 70يوماً، حاول فيها مساعده أن يحاول اتجاه السير قليلاً إلى الجنوب، بدلاً من مواصلة السير صوب الغرب، ولولا هذا التغيير لوصل كولمبس إلى فلوريدا، ولأصبحت الولايات المتحدة مستعمرة إسبانية، ولكن وصل إلى إحدى جزر البهاما في شمال كوبا، وعندما نزل كولمبس إلى الشاطئ ركع وقبل الأرض وحمد الله، ثم أشهر سيفه ورفع علم قشتالة، وأمر الموثق

بتحرير وثيقة للاستيلاء على هذه الأرض باسم فرديناند وإيزابيلا في عام 1492م.

عاد كولمبس إلى إسبانيا ليعلن في البلاد وأمام كبار رجال المملكة اكتشافه الجديد، ثم قام كولمبس برحلته الثانية في 1493م وكان هذه المرة أحسن تجهيزاً وأكثر عدداً، فتألفت حملته من سبع عشرة سفينة عليها 1500 رجلاً، فتوجهوا إلى جزر الأنتيل أولاً ثم توجه إلى هايتي ليكتشف أن السكان قد قضوا على الإسبان الذين أبقاهم في المستعمرة في المرة السابقة فأقام مستعمرة أخرى جديدة بدلاً منها[30]. قام كولمبس بعد ذلك برحلتين إلى تلك الجهات، كشف في الثانية منها عام 1498م جزيرة "ترينداد"، وأبصر شاطئ أمريكا الجنوبية، ولكن أعداءه وشوا به، وأعادوه إلى إسبانيا مكبلاً بالأغلال ذليلاً، ولم ينقذه من هذا الذل وتلك المعاملة القاسية إلا الملكة " إيزابيلا" التي كانت تعطف عليه، وبموتها بعد قليل أهمل أمره وقام برحلته الأخيرة سنة 1502م، ووصل فيها إلى شواطئ أمريكا الوسطي بالقرب من بنما، ثم عاد إلى إسبانيا منزوياً متألماً لنكران جميله وجحود فضله، ومات سنة 1506م، وهو لا يعلم أنه كشف عالماً جديداً، بل كان على اعتقاده أنه وصل إلى شرق آسيا، ولذلك لم يطلق اسمه على القارة الجديدة [31].

كان من نتائج هذه الكشوف أن قلت أهمية البحر المتوسط وبالتالي أهمية مصر والبندقية وغيرهما، وأصبح المحيط الأطلنطي مركزاً

للتجارة بين أوربا وأمريكا وصارت البلاد الواقعة عليه في وسط العالم التجاري، بعد أن كانت على حافته القصوي وأحست انجلترا وفرنسا وهولندا أنها لاتقل في الامتياز عن البرتغال وإسبانيا، فأرسل الملك هنري السابع ملك انجلترا سنة 1496م " جون كابوت" للوصول إلى الهند من طريق الشمال الغربي فكشف "لبرادور" ثم كشف أكبر أبنائه جزيرة "تيو فوند لاند" وتقع على قرب شاطئ فلوريدا واستعمرت انجلترا بعد ذلك الجهات المعروفة الآن باسم الولايات المتحدة الأمريكية[45]، وفي السنة التالية قام كابوت برحلة ثانية اكتشف فيها الشاطئ الشرقي لأمريكا الشمالية وقد نتج عن ذلك تمهيد الطريق لاستعمار انجلترا لجزء كبير من العالم الجديد[46]، كما تمكن الانجليز أيضاً من التقدم من خليج هدسن إلى داخل القارة فوصلوا إلى جبال روكي والمحيط المتجمد الشمالي [47].

أما بالنسبة لفرجينيا؛ فقد أرسل "سير والتر رالى" بتصريح خاص، أما "داس" و"بارلو" فنزلا بجزيرة رونوق عام 1584م، وأطلقا على الإقليم اسم "فرجينيا"، وقد أرسلت سفن تحمل المؤن عام 1586م ولكنها وجدت المستعمرة مهجورة، إذ كان "دريك" قد عاد بالمستعمرين إلى انجلترا، وأرسلت طائفة أخرى من المستعمرين بقيادة الحاكم جون هوايت، وعند عودته عام 1591م لم يجد هوايت سوي اطلال المستعمرة وخرائبها، وشهدت الفترة من عام 1602م إلى 1604م تنظيم عدد من الرحلات إلى أمريكا كان الأحوالها تلك التي قام بها جورج وايموث عام 1604م،

وقد توجه وايموث لرؤية ساحل نيو انجلاند وتضمن تقريره المرضي مايثير الرغبة في تأسيس مزيد من المستعمرات .

أما بالنسبة لفرنسا فقد دخلت ميدان الكشوف الجغرافية متأخرة بعض الوقت عن البرتغال وإسبانيا وانجلترا، حيث وصل جماعة من صائدي الأسماك من نورماندیا وبريتاني إلى سواحل نيو فوندلاند في حوالي عام 1500م، وهناك أخبار تفتقر إلى اثبات عن محأولات لارتياد خليج سانت لورانس في عامي 1518م، ويحتمل أن يكون جيوفاني دي فيراتزاني الذي أرسله فرنسيس الأول ملك فرنسا قد كشف الساحل الأمريكي من "كيب فير" حتى نيو فوندلاند[48].

أرسل فرنسوا الأول ملك فرنسا "جاك كارتيه" قصد الذهاب إلى الهند بالطريق الشمالي الغربي فكشف مصب نهر سنت لورانس سنة 1534م، وتلا ذلك استعمار الفرنسيين كندا وحوض نهر مسيسي[49]، مما أدى إلى الإصطدام مع الانجليز سنة 1754م، عموماً أن حركة الكشوف الفرنسية في العالم الجديد قد أدت إلى تنافس استعماري في أمريكا الشمالية مع الانجليز من أجل السيطرة والسيادة في العالم الجديد[50]. وحاول ماركيزدي لاروس سنة 1598م أن يؤسس مستعمرة في جزيرة سابل، وتم انقاذ الإحياء منهم بعد انقضاء خمس سنوات، وبعد أن منح "بنتجرافيه" و"شوقان"، و "دي مونت" في عام 1600م حق احتكار تجارة الفراء، قاموا بمحاولة فاشلة أخرى للاستعمار وكان هدفهم في هذه المرة

"تادوساك" عند "سانت لورانس السفلي"، وارتاد "بونتجرافيه" بصحبة "صمويل دي شمبلين" علاوة على ذلك الساحل الأكيدي، وفي السنوات الثلاث التالية، نظم "دي مونت" و "شمبلين" مكاناً للاستيطان في مدينة "سانت كروا"، ولكنهما انتقلا بعد فترة إلى "بورت رويال"، ثم تابع "شمبلين" رحلته على ساحل "نيو انجلاند" حتى "رأس كود" وعاد إلى فرنسا عام 1607م.

كان من نتائج الكشوف الجغرافية أن عمد الإسبان والبرتغاليون على نشر الدين المسحي والمذهب الكاثوليكي بين أهالي المسكيك وأمريكا الجنوبية، حيث وجدوا في ذلك أكبر تعويض للكنيسة الكاثوليكية عن نفوذها الذي ضاع في كثير من جهات أوربا، على أثر انتشار البروتستانتية في كثير من جهاتها بعد ظهور حركة الإصلاح الديني. أيضاً ازدهرت كمية المعادن الثمينة ولاسيما الذهب والفضة واتخذت طريقها إلى أوربا فحل النقد محل المبادلة في البيع والشراء وانخفضت قيمة العملة وارتفعت الأجور وأثمان السلع وتحسنت الحالة الاقتصادية في أوربا نتيجة لازدياد النشاط التجاري وإنشاء الصناعات الجديدة وزيادة رؤوس الأموال. كما ترتب على حركة الكشوف الجغرفية أن تحولت الثروة من طبقة ملاك الأرض إلى طبقة جديدة وهي طبقة التجار، وسيكون لانتعاش الطبقة البرجوازية التجارية دور مهم فيتطور نظم الحكم في العصر الحديث، وسياسياً قد نتج عن حركة الكشوف نشأة الاستعمار وازدياد تنافس الدول الأوربية على السيطرة في العالم الجديد وآسيا وأفريقيا[52]. كما زادت

أهمية علم الجغرافية، واتسع ميدان البحوث الجغرافية وتغيرت أفكار أهالي أوربا عن الأرض وحجمها وشكلها، ومن فيها وما فيها، كما لفتت هذه الكشوف الأنظار إلى ضرورة تحسين بناء سفن، ووسائل إرشاد الملاحين حتى يقبلوا على الأسفار والتجوال في البحار، وهكذا أقبل الناس على البحث العلمي والتفكير الحر دون الاعتماد على الآراء القديمة التي كانت سائدة أو التقيد بأفكار العصور الوسطي.

كما انتقل الثقل السياسي والاقتصادي إلى المحيط الأطلنطي الذي أصبح طريق التجارة العالمية في العصر الحديث وانتقل مستقبل أوربا التجاري من مدن البحر المتوسط كالبندقية وجنوة إلى مدن الغرب والشمال إلى البرتغال وإسبانيا، ثم إلى هولندا وانجلترا التي كانت تقع على الطرق الغربي للدنيا القديمة، وأصبحت في قلب الدنيا بعد الكشوف الجديدة عرفت هذه الحركة الاقتصادية في التاريخ باسم "الثورة التجارية" . كما تكونت إمبراطورية إسبانية وأخرى برتغالية وفتح باب الاستعمار أمام الدول الأخرى التي لم يلبث أن دخلت الميدان لتأخذ بنصيب من الأملاك الجديدة ودعا هذا التنافس في البحار حتى أصبحت الأساطيل البحرية من الأحوال عوامل التغلب والانتصار، كذلك سادت بين الدول نظرية استغلال المستعمرات لصالح مما أدى إلى تذمر السكان وثورتهم في النهاية طلباً لدفع نير الاستعمار الذي كان فاتحة لسيل من الهجرة من أوربا إلى ذلك الإصقاع. أخذت المحصولات الجديدة ترد إلى أوربا كالذرة والبطاطس والكاكاو والكينا والتبغ

هوامش الفصل الثاني

1-د.يسري الجوهري: الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، منشأة المعارف بإلاسكندرية، ط3، 1976، ص.141

2-بول كولز: العثمانيون في أوربا، ترجمة؛ عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص.141

3-د.عبد الرحيم عبدالرحمن: المرجع السابق، ص.44

4-د.محمد عبد الرحيم مصطفي: المرجع السابق، ص .44

5-د.القرحي: المرجع السابق، ص .44

6-د.سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطي، جـ1، التاريخ السياسي ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1975، ص558 ،.559

7-د.يسري الجوهري: شمال أفريقيا، منشأة المعارف بإلاسكندرية، 1976، ص.126

8-د.جلال يحيي: عصر النهضة؛ مرجع سابق، ص .200

9-محمد فريد السيد حجاج : صفحات من تاريخ الصومال، دار المعارف، 1983، ص.34

10-د.القرحي: المرجع السابق، ص .45

11-د.سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 559. وانظر أيضاً؛ د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص .48

12-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، .201

13-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص .52

14-د.سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص .559

15-د.يسري الجوهري : الفكر الجغرافي، مرجع سابق، ص 153 ،.154

16-محمدعبد الرحيم مصطفى وآخرون: المرجع السابق، ص 52، خالد عزب: المسلمون واكتشاف الأمريكيتين، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993 ، ص.17

17-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 49-51، د.محمد محمود الصياد: أثر العرب والمسلمين في النهضة الأوربية في الجغرافيا مجموعة بحوث عن أثر العرب والمسلمين في النهضة الأوربية، إشراف؛ مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو)، الهيئة المصرية للكتاب، 1987، ص 292 ،293. وللمزيد عن احداث فاسكو دي جاما وملك قاليقوط راجع، د.حسين فوزي: في المعارف الملاحية، ص 307 -309. من بحث: أثر العرب والمسلمين في النهضة الأوربية Kammerer:LaMer Rouge, Le Caire,1935,pp,186-193

18-بول كولز: المرجع السابق، ص .138

19-د.جلال يحيي: فجر التاريخ الحديث؛ المرجع السابق، ص 261، وأنظر؛ د.جلال يحيي : مصر الحديثة 1517 -1805، منشأة المعارف بإلاسكندرية، (ب.ت)، ص .57

20-د.يسري الجوهري: المرجع السابق، ص .159

21-محمد فريد السيد حجاج: المرجع السابق، ص.36

22-خالد عزب: المرجع السابق، ص17، 18.

23- Kammerer:Op.Cit,p.155.

24-عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص .52

25-د.يسري الجوهري : الفكر الجغرافي؛ المرجع السابق، ص209، وأنظر أيضاً؛ Kammerer:Op.Cit.,p.157

26-د.جلال يحيي مصر الحديثة؛ المرجع السابق، ص 58، وأنظر أيضاً؛ Kammerer:Op.Cit.157-158

27-د.القرحي: المرجع السابق، ص .47

28-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص 319، .320

29د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 56، وأنظر أيضاً؛ خالد عزب: المرجع السابق، ص21، وحول المزيد عن نظرية كروية الأرض راجع، د.محمد محمود الصياد: المرجع السابق، ص 296 ،.297

30-دعبد العزيز سليمان، د.عبد المجيد نعنعي، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، (ب.ت)، ص 13.

31-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 59 ، 60 ، د. الشناوي ، ص 127 -.129

32-د.نوار ،د.نعني: المرجع السابق، ص 14 ،15، خالد عزب: المرجع السابق، ص 21 ،.22

33-د.جلال يحي: المرجع السابق: ص 3214 ،328 ، د.صلاح أحمد هريدي : دراسات في التاريخ الأمريكي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، اسكندرية، 2000 ، ص18.

34-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص .61

35-د.نوار ، د.نعني: المرجع السابق، ص .16

36-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص .332

37-نفسه ، ص 332 ،.333

38-د.نوار ،د.نعني: المرجع السابق، ص .16

39-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص .242

40-أحمد طاهر: "أفريقيا" – فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، 1975، ص.91

41-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص 347، .348

42-نفسه، ص .348

43-د.زينب عصمت رأشد: المختصر في تاريخ أوربا الحديث "من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر"، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، 1984، ص 53 -56، د. الشناوي: المرجع السابق، 129 -.140

44-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 63.

*-أسرة التيودور "House of Tudor": (1485-1603)م هذه الأسرة من أصول ويلزية، وترجع هذه الأصول إلى أوين تيودور

"Owen Tudor" والذى كان من رجال بلاط الملك هنرى الخامس، وبعد وفاة الملك قام أوين بالزواج من أرملة الملك، للمزيد أنظر: أشرف صالح محمد سيد: أصول التاريخ الأوروبى الحديث، دار تاشرى للنشر، الكويت، ط 1، 2009، ص.163

45-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص .63

46-د.القرحي: المرجع السابق، ص .48

47-د.يسري الجوهري: المرجع السابق، ص .193

48-د.صلاح أحمد هريدي: المرجع السابق، ص 22، .37

49-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص .64

50-د.القرحي: المرجع السابق، ص .49

51-د.صلاح أحمد هريدي: المرجع السابق، .38

52-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 63 -65، وانظر أيضاً؛ د.الشناوي: المرجع السابق، ص 150 -153، أيضا؛ محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 64 -66.

الفصل الثالث

الثورة الدينية

كان الهدف من الحركة الدينة التي قام بها مارتن هانس لوثر وغيره من المُصلحين الدينيين هو تطهير الكنيسة مما شابها من فساد ظاهري وباطني لكل ما يمس الدين المسيحي، ولم يكن الغرض من تلك الحركة الدينية هو إدخال تعديلات أساسية على العقيدة الكاثوليكية. كما لم يكن الإصلاح الديني في الواقع شيئاً جديداً بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية، فهي قد عرفت أثناء القرون الوسطي دعوات كثيرة مماثلة انتهى بعضها باستحداث أًصلاحات داخل الكنيسة تمت بمبادرات داخلية، ولكن الظاهرة الجديدة في الإصلاح الديني الذي حدث في بداية العصور الوسطى تكمن في أنه تم من خارج الكنيسة وبدون موافقتها وأدى إلى نتائج أهمها إنقسام أوربا الغربية دينياً "كاثوليكية وبروتسانتية"، وبذلك تحطمت الوحدة الروحية للمسيحية التي أثرت عليها الثورة البروتستانتية تأثيراً حاسماً[51].

كانت الكنيسة صاحبة الكلمة العليا في أوربا طوال العصور الوسطي فكان لها المنزلة الأولي في جميع شئون الحياة، ففي عالم السياسة كان رجالها يشغلون أرقى والأحوال المناصب في الحكومات المختلفة، وكانت بأيديهم شئون التعليم، ومنهم المؤلفون والكتاب، ناهيك عما كان للبابا من السيطرة على السطلة السياسية، وما كان يدعيه من حق السيادة

على الأباطرة والملوك، وقد بلغت البابوية منتهي قوتها في عهد "جريجوري السابع و"أنسنت الثالث"، وطالب البابوات بسلطات تشريعية وقضائية أوسع لتطبيقها على المسيحين، وأيضاً على الكفار، وأصدر البابا جريجوري التاسع أول تشريع رسمي للقانون البابوي للتأكد من تيسر إدارة ممتلكاته[5].

ظهر ضعف البابوية وحركة الانقسام الكبري في الكنيسة الغربية، حيث اهتمت الكنيسة بظواهر الدين دون لبه، فكان الناس يعتنون باقتناء مخلفات القديسين والرسل والحج إلى مدافن القديسين، وتعذيب أجسادهم وبتلاوة الأدعية اللاتينية المغلوطة التي لايفقهون لها معني، ويحرصون على طاعة عمياء، بينما كان أثر هؤلاء يعيشون عيشة البذخ والترف والفساد، فكان البابوات يتحايلون على اصطياد الأموال بكل الوسائل فأصبحت الوظائف الدينية تباع بالمال دون النظر إلى مؤهلات الشخص المشتري لها وتهافت رجال الدين على الحياة الدنيا، وجمع الثروة لهم بوسائل مختلفة فضلاً عن استحواذهم على المناصب الهامة في الدولة وكان البابا وحاشيته يتنعمون في روما تنعماً اَثار الشكوك في أحقبة خلافاتهم لرسل المسيحية الأول، فلما جاءت النهضة تشجعت الناس على حرية النقد ومضي العهد الذي كان فيه القسيس مطاعاً من غير مناقشة[7].

كما ظهرت هذه روح الانتقاد على أثر حركة إحياء العلوم، وتناولت كل الأنظمة التي اعتادها الإنسان، وفي مقدمتها الأنظمة الدينية، فسلط المفكرون على نظام الكنيسة نور العقل والمنطق والحكمة، فزاغ الناس في الجنوب ونبذوا الدين ظاهرياً، أما في الشمال فإن الناس لم يكونوا أهل عواطف وشعور، بل هم على الأكثر أهل رزانة وتعقل وتدين، فانكبوا على كتب الفلسفة، وعلى دراسة كتب الديانة الأولي، بلغتها الأصلية العبرية واليونانية واللاتينية، ولما لم يكن لأهل الشمال مدينة قديمة كأهل الجنوب، ولما كان كل ما أخذوه من المدينة جاء عن طريق الكنيسة دفعتهم النهضة إلى الإهتمام بمصدر مدينتهم وهو الكنيسة، فنقبوا عن الأصول الدينية وكتب القديسين الأوائل، وترجموا الإنجيل من اللاتينية إلى الألمانية، ولما وقفوا على حقائق دينهم، وقرنوا ذلك بما وصلت إليه الكنيسة من الانحطاط، ثارت حميمتهم يبغون إصلاحها[11] وظهرت رغبة في خلق نوع آخر من المسيحية أبسط وأكثر روحانية. كانت الكنيسة تطلب إلى اتباع تعاليمها دون مناقشة، الأمر الذي أمات فيهم روح البحث والإبتكار، وأعمي إنسان العصور الوسطي من رؤية جمال العالم، فقد كان الجمال في نظره رجساً من عمل الشيطان، ولكن فقد صاحب نمو البرجوازية عملية إحياء العلوم العظيمة من فلك وميكانيكيا وطبيعة وتشرح وغير ذلك من العلوم التي كانت في العصر الإقطاعي الخادم المطيع للكنيسة، لذا خرجت البرجوازية للنضال

ضد دعاوى الكنيسة وضد الإقطاع، كما أوجدت روح النقد جماعة لا ترضي عن الحال التي وصلت إليها الكنيسة.

ساعد على نجاح حركة الإصلاح الديني هو رغبته الأمراء في التخلص من تدخل الكنيسة والبابا، فقد كان لهما الحق في تعيين الرؤساء الدينيين، والتدخل مباشرة في الأحوال الشخصية، وجباية الأعشار من الممالك المختلفة[15] وكانت أراضي الكنيسة في جميع أنحاء أوربا معفاة من دفع الضرائب، وكانت إيرادتها ترسل إلى البابوية طرفاً فيها، إلى هذا الجانب أو ذاك، على الملوك والأمراء خاصة من دخلت البابوية في محالفات سياسية ضدهم إلى محاولة السيطرة على هذه الأراضي والسيطرة على إيراداتها، خاصة وأن اتساع هذه الممتلكات العقارية التابعة للبابوية وجودتها وثرائها، كان يسيل لعاب الملوك والأمراء الأوربيين، وكانت حياة البابوات قد تحولت إلى حياة أمراء، وأصبح للبعض منهم أبناء غير شرعيين، وأصبح لآخرين محظيات، وبشكل يضيف من هيبة الكرسي البابوي[16]. كان السبب المباشر لنجاح الحركة هو بيع الكنيسة لصكوك الغفران ناهيك عن ذلك فإن البابوات صاروا يستعيضون عن التكفير بعمل آخر، كالإشتراك في الحروب الصليبية، أو الحج إلى روما، فيمنح لهم البابا الغفران.

كانت ألمانيا من أكثر البلاد معاناة من مساوئ الكنيسة، فعلى سبيل المثال كانت أملاك الكنيسة كبيرة في جميع البلاد المسيحية، لكن

في ألمانيا وصلت أملاك الكنيسة إلى نصف الممتلكات الألمانية جميعاً، وكانت الشرارة البادئة لمشاكل ألمانيا هي رغبة الأمير ألبرت في الاحتفاظ بكنيستي ماجدة بورج وهالبرج اشتاد– اللتين كان يرأسهما بالفعل – بجانب أطماعه الجديدة في كنيسة ماينس(وكانت كنيسة ألمانية رئيسية) وهو ما كان يخالف قوانين الكنيسة، وكان ألبرت على استعداد بدفع ثمن هذا المنصب، وكان "البابا ليو" في حاجة للمال لتجديد كنيسة القديس بطرس، ولأن ألبرت لم يكن يملك السيولة الكافية لدفع المقابل نقداً فإن "البابا ليو" سمح له بقرض كبير بسعر فائدة عال فوق العادة، وكانت المشكلة هي كيف يرد الأمير ألبرت هذا الدين؟، لقد سمح "البابا ليون" للأمير ببيع صكوك الغفران لمدة ثماني سنوات، بحيث يعود نصف عائدها للبنوك والنصف الآخر للبابا لأًصلاح كنيسة القديس بطرس، وتم تعيين القس تتسل في مهمة التسويق لتلك الصكوك، وكان ممكنًا لتتسل أن يستمر في هذه المهمة لولا ظهور مارتن لوثر الذي لم يعجبه هذه الأحوال[22].

أما عن مارتن هانس لوثر الألماني ، فلم يكن الوحيد الذي وجه نقداً للكنيسة، والغريب في ذلك الوقت أن لوثر أثر عدم ترك الكنيسة حتى اهتدي إلى فكرة أن مسيحية منقسمة هي بلا شك أفضل من مسيحية يرأسها بابا يعمل ضد تعاليمها، وأن يسترشد بالإنجيل رأساً أفضل من أن يقوده بابا فاسد الذمة[10]. ولد مارتن لوثر في عام 1483م بإحدى قرى إمارة سكسونيا التابعة لألمانيا من أبوين فقيرين، ولكنه أتم تعليمه

الجامعي، ثم دخل ديراً تابعاً لطائفة القديس أوغسطين سنة 1505م، وأتيحت له في سنة 1511م فرصة زيارة روما، ولكنه صدم لما رآه فيها من حياة التبذل وانهيار القيم الأخلاقية، وابتعاد حياة رجال الدين عن تعاليم المسيحية.

منذ عام 1512 اشتغل أستاذ اللاهوت في جامعة وتنبرج سنة 1512م، ونجح في التدريس والوعظ. وصُدِمَ مارتن لوثر حين جاء أحد الرهبان إلى المدينة فى عام 1517م ليبيع صكوك الغفران وكان جاهلاً، وأدعي أنها كافية لتخليص من يشتريها من كل ما ارتكب من آثام وخطايا، وحتى أكبر الكبائر، ولما كان الغفران لا يتم إلا بناء على توبة واعتراف وتكفير، بالإشتراك في الحروب الصليبية وفي الحج إلى روما وزيارة قبور القديسين، ثم نسي بعض رجال الكنيسة التوبة والإعتراف، وأصبح التكفير يعني شراء صكوك الغفران وكان الغفران منحة إلهية، ونسي البابوات ذلك وأصبحوا يضمنونه لمن يشتري الصكوك، فثارت نفس مارتن لوثر، وانتهز فرصة اجتماع أهالي "وتنبرج" بمناسبة عيد الشهداء، وبمناسبة تدشين "كنيسة الأمير ألبرت" وعلق على بابها احتجاجاً على بيع صكوك الغفران يشتمل على خمسة وتسعين فقرة، هاجم فيها الكنيسة الكاثوليكية، ونظرتها إلى الغفران، وهاجم فيه سلطان الكنيسة وتعاليمها، واصر على ضرورة اتخاذ الكتاب المقدس وحده دستور لتفسير أي موضوع يختلف عليه في العقيدة[23]، أي أن لوثر هاجم الغفران ولم يمض أسبوعان على هذا الحادث حتى كانت قد ذاعت أنباء هذه الحجج

وترجمت من اللاتينية إلى الألمانية، ولم يمض شهران حتى كانت أوربا بأسرها تناقش هذه الحجج التي وضعها الراهب السكسوني. أدت هذه المناظرة إلى إعلان لوثر أن صكوك الغفران والبابوية كلها بدع مستحدثة، ولم تكن معروفة أيام الرسل الأولين، فلما علم البابا بذلك، لم يسعه إلا اصدار قرار البابا علناً، فطلب البابا إلى الإمبراطور شارل الخامس تنفيذ قرار الحرمان ضد لوثر، فدعاه شارل إلى الحضور أمام المجمع الألماني، وطلب إليه أن يرجع عن زيغه، فأبي إلا أن يقتنعوه بحجج من الكتاب المقدس، فحكم عليه بالطرد خارج القانون، واهدار دمه، وحرمت قراءة كتاباته، فحكم عليه بالطرد خارج القانون واهدار دمه، وحرمت قراءة كتاباته، ولكن سلطة المجمع كانت ضيقة، وكان كل أمير حراً في تنفيذ قرارات المجمع وإهمالها.

بينما كان لوثر مهدداً بالقبض عليه في أية لحظة، حمله أصحابه إلى أحد حصون سكسونيا، في حماية أميرها، وفي مختبأ به عامين، وترجم في اثنائها الإنجيل من الإغريقية إلى اللغة الألمانية، فكان ذلك أول كتاب قيم طبع بهذه اللغة، ففتح لها عهدا من جيدأ، ومن ذلك الوقت سهل على الشعب أن يطلع على الكتابات الدينية بنفسه، وكثر أنصار لوثر[27] فأن كل طبقة كانت تري مصلحتها في الإنضمام إليه، فكان الفلاحون يريدون التخلص من بقية قيود الإقطاع، والفرسان يريدون توسيع نفوذهم، والأمراء يرغبون في الاستيلاء على أملاك الكنيسة، ومهاجمة الأراضي التابعة لها سنة 1523م، واستولوا على أراضيها

وقسموا بعضها على صغار الفلاحين[28] وأخيراً فإن "جامعة وتنبرج" منحت مارتن لوثر منبراً يشرح فيه فكرة عقيدته، وبشكل ساعد على انتشار هذا الإتجاه الجديد[29]. ولم يلبث لوثر أن كتب البابا رسالة بعنوان "فيما يمس الحرية المسيحية" قال له فيها "أنك لا تستطيع أن تنكر أن ما يسمى بهيئة الكهنوت الرومانية هي أفسد من بابل وسدوم، ولقد أظهرت احتقاري حقاً وانتابني الغضب لأن الشعب المسيحي يخدع ستار اسمك واسم الكنيسة المسيحية، لهذا قاومت وسأظل أقاوم ما وُجِدَ في عرق ينبض بروح الإيمان[30]

عُرِفَ أنصار المذهب الجديد بـ "البروتستانت" أي المحتجين أو المعترضين، فانقسمت أوربا إلى معسكرين أحدهما يذود عن الكاثوليكية، والآخر يدعو إلى البروتستانتية التي سرت في جميع أجزاء أوربا الشمالية سريان النار في الهشيم، فعفا المذهب القديم منها، واعتنق الكثير من البروتستانتية وبدأ عهد الصراع والحروب اللاتينية في أوربا[31] وواصلت مؤلفات مارتن لوثر الناضجة في نظريات الكنيسة التشديد على اعتماد الكنيسة على كلمات الأسفار المقدسة، والقول بأن تعريف الكنيسة مستمد من هذا المفهوم والمعني؛ أي أن موضع الكنيسة الحقة لا ينبغي تحديده على أي نحو في مدينة بالذات، لأن الكنيسة الحقة بمقدورها أن توجد حيثما تتردد كلمة الكتاب المقدس بصدق وتتغذي بها الكنيسة[32].

ارتبط بحركة مارتن حركة (حركة المطالبون بإعادة التعميد) والتي ظهرت في "ترفيكاوسكسونيا" سنة 1521م على يد جماعة متطرفة من أنصار مارتن لوثر، على رأسهم "توماس مونزر" "Munzer" رأت أن تعميد الأطفال (تغطسيهم ثلاث مرات في الماء على اسم الثالوث المقدس: الأب والابن والروح القدس) من أجل صلاحهم، لا يتفق مع تعاليم الإنجيل، حيث يجب أن تتوافر في المعمودية أركان الحياة الدينية الصحيحة من توبة وندم وإيمان، وهو ما لا يتوافر في الأطفال، ومن ثم فإن سر المعمودية لا يسمح إلا للبالغين الراشدين الذين اعتنقوا المسيحية فقط. كما ظهرت حركة الفرسان: والذين فقدوا الكثير من امتيازاتهم، فوجدوا في حركة لوثر فرصة لاسترداد نفوذهم وتوسيع ممتلكاتهم، فهاجموا الكنائس وحطموا ما فيها من تماثيل، واستولوا على أملاكها وارضيها ولكن الأمراء قاموا بضربهم، والقضاء على حركتهم، حتى يبقوا هذه الممتلكات في أيدي الكنيسة إن كان الأمراء من الكاثوليك، أو للإستيلاء هم بأنفسه مولأنفسهم عليها إن كانوا من أنصار لوثر، وأدى ذلك إلى ضعف الفرسان وتزايد قوة الأمراء[35]. وأخيرا جاءت ثورة الفلاحين والتي كانت أعنف الحركات، مطالبين بإبراز الدليل من الإنجيل على أنهم أرقاء ، وقالوا "لن نكون بعد اليوم عبيدا؛ لأن المسيح جعلنا احراراً"، وانتشرت في جميع أنحاء ألمانيا، فقد قامت في التيرول وادستريا وفرانكونيا وسوابيا، وهي عبارة عن سلسلة من الثورات التي قام بها الفلاحون فيما بين سنتي 1524م و1525م، وكان قد سبقها ثورات

أخرى قبل ظهور الحركة اللوثرية[36] ولقد ربط الفلاحون بين الاتجاه الفكري والعقائدي لحركة لوثر، وبين ظروفهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ولم تلبث هذه الحركة أن اتخذت طابعاً شيوعياً على يد "توماس مونزر" حاكم "تزفياكو" وزعيم الآنابابتيين والذي نصب نفسه زعيماً للفلاحين.

ولقد وقف لوثر ضد هذه الحركات الثلاث؛ فوصف الفلاحون بأنهم مخربون وسافكي دماء، وطلب إلى الأمراء ضرب حركتهم بكل عنف، وكان لوثر يرغب بذلك في أن تكون حركة الإصلاح دينية مجردة، دون أي ارتباط أو تعرض للظروف الاجتماعية والاقتصادية، ولكنه أسلم زمام الأمر بهذه الطريق في ألمانيا للأمراء وبشكل يدعم سلطتهم في إمارتهم، ويزيد مكاسبهم على حساب السلطة والممتلكات العقارية للكنيسة، وظلت ألمانيا منقسمة على نفسها إلى دول وإمارات، بعضها مع البابا وبخاصة في الجنوب، وبعضها مع المذهب الجديد مذهب لوثر وخاصة في الشمال. وهكذا لم يعد لوثر في نظر الألمان مصلحاً دينياً فقط، بل زعيماً قومياً أيضاً[41].

قاد أولريخ زونجل – سويسري الأصل – أول دعوة للإصلاح الديني خارج ألمانيا في مدن سويسرا، وبدأها في زيورخ 1518م، دون أن يتأثر بتعاليم لوثر في ذلك الوقت؛ فقد هاجم صكوك الغفران، كما هاجم استخدام البابا لرجال سويسرا في حروبه، ودعا إلى زواج القسس،

والاعتماد على الإنجيل دون تعاليم الكنيسة، وخالف لوثر في تفسير العقائد، وفيما يجب أن يكون عليه نظام الحكم في الكنيسة، وذهب إلى أن القربان حفلة تذكارية لا غير، ورأي أن يعهد بإدارة الكنيسة إلى يد السطات التي تتولي شئون الدولة، كما فعل لوثر، ولكنه رأي أن هذه السلطات هي السلطات الجمهورية الثورية، ولذا فإنه كان يسود الكنيسة السويسرية النظام التام رغم خضوعها للسلطة الزمنية وعرض زونجل سبعة وستين بنداً يدافع عنها وتلخص عقيدته[24]، ولهذا فأن زونجل اعتبر الكنيسة مؤسسة ديمقراطية لكل المسيحين الذين يشتركون بواسطة هيئة معينة منهم في الفصل في كل المسائل المتعلقة بالكنيسة والتعيين في الوظائف الكنسية وغيرها، على حين اعتبر لوثر أن أمير البلاد هو دائماً الرئيس الأعلى للكنيسة، وقد قتل زونجل في الحرب التي دارت بين الكاثوليك والبروتستانت في 11 أكتوبر 1531م[43] وقد أثر ذلك على الحركة اللوثرية، التي لم تنتشر في سويسرا، ولكن الصلح عقد بينهما في نفس السنة التي حدثت فيها المعركة والتي قتل فيها زونجل "معركة بابل" [45].

انتقلت حركة الإصلاح الديني إلى فرنسا على يد "كلفن" الذي ولد في فرنسا ودرس القانون بها، وفي عام 1534م خرج عن مذهب الكنيسة واتبع مذهب لوثر، واضطر إلى مغادرة فرنسا، لأن ملكها فرانسوا الأول أخذ يضطهد البروتستانت، وبعد قليل أقام في جنيف بسويسرا، ومنها أخذ اسمه وشهرته ينتشران في كل أوربا، وسُمِيَ اتباعه في فرنسا

"الهيجونوت". وفي إنجلترا بدأ هنري الثامن حكمه لها سنة 1509م وكان عمره 28 سنة، وتزوج "كاترين الإرجوانية" –ابنة فرديناند وإيزابيلا–، وكان مسيحياً كاثوليكياً، أعطاه البابا سنة 1521م لقب حامي العقيدة، نتيجة لكتابته بحثاً رد فيه على لوثر، وكذلك ساند البابا، وكان الإنجليزي العادى لا يحي رجال الدين ويحقد على ما يتمتع به رجال الدين من امتيازات وأملاك.

مزقت حركة الاصلاح الديني تلك الوحدة الدينية في أوربا، وهي الوحدة التي ظهرت مع انتشار المسيحية واستمرت إبان العصور الوسطي، كما أنها أدت إلى ظهور مذاهب جديدة أثرت في السياسة الأوربية والدولية، وأدت إلى حروب أهلية ودولية، ولاشك أن الروح المحافظة التي اتسمت بها سياسة الكنيسة المسيحية كانت من الأحوال دوافع حركة الإصلاح الديني في أوربا[2].

أما عن ردة الفعل للكنيسة الكاثوليمية تجاه حركات الاصلاح الديني البروتستاني فقد اعتمدت الكنيسة الكاثوليكية على محاكم التفتيش وذلك من أجل تعقب الخارجين على المذهب الكاثوليكي والتنكيل بهم إرهاباً لهم ولغيرهم ولإجبارهم على البقاء داخل حظيرة الكاثوليكية، لجأت إليها الكنيسة الكاثوليكية في روما في تنفيذ الحركة الإصلاحية وقد استخدمت هذه المحاكم لوقف انتشار البروتستانتية خاصة في إيطإليا وإسبانيا ومارست أعمالها بقسوة وسارت تصدر الأحكام الجماعية باحراق

المتهمين أحياءً، إضافة إلى التعذيب والسجن ومصادرة الممتلكات[55].استطاعت محاكم التفتيش أن توقف توسع البروتستانتية في إيطاليا وإسبانيا وأثارت الرعب في نفوس بروتستانت ألمانيا وشمال أوروبا مما جعلهم أشد مقاومة لعودة الكاثوليكية[57]

في أعقاب ذلك ظهر إسباني الأص وهو "اجناتيوس ليولا" ليؤسس جماعة اليسوعيين الذي سيكون لها دوراً كبيراً في المحافظة على الكاثوليكية وتدعيمها وجمع حوله عدد من الزملاء وقرروا جميعاً أن "يحاربوا من أجل المسيح" وأنشأوا حزباً باسم "حزب المسيح" جعل قوامه النظام والطاعة والغيرة على المبدأ والدفاع على البابوية وسلطتها، وكانت الوسائل التي اعتمد عليها تخلص في الدعوة بالكفاية والخطابة والتعليم وليست المعتقدات الدينية الكاثوليكية المقررة، وقد نجح الجزويت في عملهم نجاحاً كبيراً وساعدوا على رد تيار البروتستانتية في كثير البلاد غير أن تجردهم من أي فكرة وطنية وانصرافهم إلى غرض ديني هو خدمة الكنيسة والبابوية وضعهم موضع الشك إزاء الحوكومات الكاثوليكية فتعصروا لنقمتها وسخطها، وانتشر اليسوعيون ودعائهم في ألمانيا والنمسا وإسبانيا وفرنسا، وفي كل مكان في أوربا[60] وساهم اليسوعيون في خدمة الكاثوليكية وأصبحوا شبه تنظيم عسكري[61]. ويرجع الفضل إلى اليسوعيين في إصابة المذاهب البروتستانتيتة بكنيسة في فرنسا وألمانيا وفي هز مركز البروتستانت لفترة من الزمن في انجلترا واسكتلندا، وكذلك في استئصال البروتستانتية من إيطاليا وإسبانيا، أما بولندا فقد

نجحوا نجاحاً فائقاً وعلى حساب المذهب الأرثوذكسي ودعموا هناك المذهب الكاثوليكي، حتى أصبحت بولندا إقليمياً كاثوليكياً بين ألمانيا البروتستانتية في الغرب، وروسيا الأرثوذكسية في الشرق.

اجتمع مجلس ترنت الكنسي بأمر الإمبراطور لإيجاد قاعدة التفاهم والوفاق مع اللوثرين، وظل المجلس ينعقد تارة ويتأجل أخرى، حتى بلغت جلساته خمس وعشرين جلسة كان آخرها في ديسمبر 1563م، وقد كان انعقاد مجمع ترنت في ألمانيا للحد من انتشار المذاهب البروتستانتية في كل مكان، ولتطهير الكنيسة بما لحقها من مفاسد في نظمها وسلوك رجالها، والحرص على عدم إضعاف سلطة الكنيسة أو المساس بشخص البابا هو نائب المسيح، وخليفة القديس بطرس الرسول[65]، ولم يحسم النزاع القائم بين البروتستانت والكاثوليك. انعقد المجلس الإمبراطوري في مدينة أوجزبرج لتقرير الصلح مع الأمراء البروتستانت، وهو ماعرف باسم "صلح أوجزبرج" في 25 سبتمبر 1555م، والذي قرر فرض مذهب ديني واحد على جميع المقاطعات الألمانية، وعدم إستخدام العنف ضد الولايات الكاثوليكية، وأن من حق كل فرد يعتنق مذهباً مخالفاً لمذهب الولاية التي يقطنها أن يهاجر إلى ولاية أخرى تدين بالمذهب الذي يعتنقه، وله الحق في أن يأخذ معه أمواله، ويحق له أن يبيبع أمتعته قبل رحيله وألا يضار في شرفه، وأحكام هذا الصلح تسري على الكاثوليك واللوثرين، كما قرر الصلح أن أملاك الكنيسة الكائنة في المقاطعات التي تحولت إلى اللوثريين قبل 1552م تبقي كما هي، وأما أملاك الكنيسة التي أخذت

منها بعد هذا التاريخ، فتعود إليها وأعطي للأساقفة حق اختيار المذهب الديني الذي يرغبون في اعتناقه، بشرط أن كل أسقف يعتنق المذهب البروتستانتي عليه أن يترك أسقفية ويفقد وظائفه الدينية، تصبح ممتلكاته تابعة لروما، والواقع أن صلح أوجزبرج كان محاولة لوضع حد للمشكلة التي واجهت ألمانيا في مطلع العصر الحديث، ولكن هذه المحاولة لم يقدر لها أن تعيش طويلاً، حيث نشبت المعارك الدينية واشتركت فيها كل من ألمانيا والدنمارك والسويد وإنجلترا بطريق غير مباشر وهي الحروب التي عرفت بحرب الثلاثين عاماً (1618-1648)م والتي انتهت بصلح وستفاليا Westphalia[66]، كما مارست الكنيسة الكاثوليكية الإرهاب كأداة لمراقبة المطبوعات التي لا تنسجم مع أفكارها، وكانت مؤلفات ميكافللي ولوثر وزونجل وكلفن من بين هذه المطبوعات الممنوعة، وهكذا تحولت حركة الإصلاح الكاثوليكي إلى حركة مناهضة لحركة النهضة[67].

هوامش الفصل الثالث

1-ستيفن أوزمنت، فرانك تيرنر: المرجع السابق، ص 133.

2-د. القرحي: المرجع السابق، ص .53

3-أوزمنت، فرانك تيرنر: المرجع السابق، ص133 ،.134

4-عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق،ص79.

5-أوزمنت ، تيرنر: المرجع السابق، ص46.

6-د. جلال يحيي ، فجر التاريخ الحديث، المرجع السابق، ص 30 ،31.

7-د. عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص .80،81

8- القس دي روزا: التاريخ الأسود للكنيسة، ترجمة؛ أسر حطيبة، الدار المصرية للنشر والإعلام،1994 ، ص87.

9-أوزمنت ، تيرنر : المرجع السابق، ص 141 ،142.

10-القس دي روزا : المرجع السابق ، ص 87-89.

11- د. الشناوي: المرجع السابق، ص 322 ، 323، محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 42.

12- د. القرحي: المرجع السابق، ص 55.

13-د. عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص105، 106.

14-د.عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص82.

15-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص42.

16-د. جلال يحيي : المرجع السابق، ص 440-.441

17-د. عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 83.

18-د.عبد العظيم رمضان : المرجع السابق، ص116-.117

19-د.جلال يحيي : المرجع السابق، ص 441 .

20-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص117.

21-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص83، محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص.43

22-القس دي روزا: المرجع السابق، ص.87،86

23-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص441، .44

24-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص119-.121

25-القس دي روزا: المرجع السابق، ص.88،87

26-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص120، .121

27-د.البطريق، د.نوار: المرجع السابق، ص98، د.الشناوي: المرجع السابق، ص312-315، محمد عبد الرحيم مصطفي، وآخرون: المرجع السابق، ص.45

28-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص.87

29-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص 443.

30-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص.121

31-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص87، .88

32-أوزمنت، تيرنر: المرجع السابق، ص.79

33-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص .443

34-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص.124،123

35-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص444. د.البطريق، د. نوار: المرجع السابق، ص98، .99

36-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص124، .125

37-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص444.

38-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 126 ،127

39-د. جلال يحيي: المرجع السابق، ص 444 ،445

40-نفسه ، عصر النهضة، ص 309

41-د.القرحي: المرجع السابق، ص 60 ،61

42-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص88. د.البطريق، نوار: المرجع السابق، ص 112 -114

43-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 143. د.الشناوي: المرجع السابق، ص 430- 432

44-د.جلال يحيي : فجر التاريخ الحديث ،ص 446 ،447

45-د.الشناوي: المرجع السابق، ص 432.

46- محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص46.

47- د. الشناوي : المرجع السابق، ص 204 ،205.

48- د. جلال يحيي : المرجع السابق،ص 447 -451.

49- بول ريفال: المرجع السابق، ص 85 -88 .

50-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص .452

51-د. القرحي: المرجع السابق، ص.65

52-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص .90

53-د.جلال يحيي : المرجع السابق، ص 461، .462

54-أوزمنت ، تيرنر: المرجع السابق، ص .49

55- د.القرحي: المرجع السابق، ص 66، د.الشناوي: المرجع السابق، ص 109 -.112

56-بول ريفال: المرجع السابق، ص 7 ،.8

57- د.القرحي: المرجع السابق، ص .66

58-د. عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص .91

59-د.جلال يحيي : المرجع السابق، ص .459

60-د. عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 91 -.92

61-د. البطريق ، د. نوار: المرجع السابق، ص 136 ،.138

62-د. جلال يحيي : المرجع السابق، ص .46

63-د.القرحي : المرجع السابق، ص .66

64-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 92 ،93، د.البطريق ، د. نوار : المرجع السابق، ص 138 -.140

65-د.جلال يحي : المرجع السابق،ص 457 ،.458

66-عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 93 ،.94

67-د. القرحي: المرجع السابق، ص .76

68-عبد العظيم رمضان : المرجع السابق، ص .384

69-د.جلال يحيي : المرجع السابق، ص .384

70-د.عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص 68 ،.96

71- د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص 384،385، د.البطريق، د.نوار: المرجع السابق، ص 67-70، بول ريفال: المرجع السابق، ص 18.

72-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 155 -.157

73-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص 155-.157

74-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 158-.160

75-د.جلال يحيي : فجر التاريخ الحديث: المرجع السابق، ص .390

76-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 156-160،د.الشناوي: المرجع السابق، ص 190- 192، د.جلال يحيي : فجر التاريخ الحديث، المرجع السابق، ص .390

77-بول ريفال: المرجع السابق، ص 18-20.

الفصل الرابع

الحرب الدينية الكبرى

عاشت أوروبا أزمة خطيرة ابتداء من عام 1618م، امتدت لمدة ثلاثين عاماً، حيث كانت حرباً طاحنةً شاركت فيها كل من دول أوربا الوسطي الغربية ودول شمال أوربا، وبدأت هذه الحرب في ألمانيا لأسباب دينية، في شكل ثورة قام بها البروتستانت في بوهيما ضد الإمبراطور الكاثوليكي، وكانت في الواقع ضد أطماع الأسرة الحاكمة النمساوية لتحويل الإمبراطورية الألمانية إلى دول مركزية وراثية[1]، وكانت هذه الحرب الأهلية في انجلترا (1643-1649)م، وبحرب ألفرويد (1648-1655)م وهي عصبة النبلاء الإقطاعيين ضد الملوك في فرنسا[2].

وعند نهاية القرن السادس عشر الميلادى وبداية القرن السابع عشر الميلادى نجد أن مجموعة من الأمم المسلحة، قد ظهرت إلى عالم الوجود وسارت في المائة عام التالية في طريق تغيير جديد نتيجة لعاملين:-

1-زيادة أجور الصناع والعمال وصغار الطبقة المتوسطة، حتى وصل مستواها إلى مستوي الأسعار المرتفعة في نهاية القرن السابع عشر.

2-زيادة عدد الدول التي أصبحت تشارك فعلياً في تشكيل حوادث وتاريخ أوربا في القرن السابع عشر (فرنسا، انجلترا، هولندا، الدنمارك، السويد، روسيا)[3].

★ أسباب الحرب

1-أن الكنيسة الكاثوليكية قد استطاعت أن تعزز مركزها من جديد، فقد ظهرت حركة اليسوعيين "الجزويت" من أجل استعادة ما كان للكنيسة الكاثوليكية من مركز رفيع، وقد استطاعت هذه الحركة أن تجذب إليها ثانية الكثير من الأنصار الذين تحولوا إلى المذهب البروتستانتي، وتعتبر حركة اليسوعيين من وجه النظر البروتستانتية حركة خطيرة استهدفت القضاء على المذهب الجديد الذي ناضل من أجله مارتن لوثر ورفاقه.

2-لم يكن صلح أوجزبرج الذي عقد بين الكاثوليك والبروتستانت عام 1555م إلا هدنة مؤقتة ريثما يستعد الطرفان من جديد لاستئناف النضال، ويرجع ذلك إلى أن هذا الصلح لم يكن مقبولاً من الطرفين، وإنما كان صلحاً اعتمد على حاجة الطرفين آنذاك إلى فترة من الهدوء والراحة لتنظيم أمورهم ومواصلة صراعهم الديني[4].

3-نشبت الحرب نتيجة لأسباب تتعلق بالأسرة الحاكمة في النمسا، نتيجة لأوضاع هذه الأسرة ولطبيعة وطموحات أحد كبار أعضائها

وهو فرديناند الثاني، وكانت لهذه الأسرة علاوة على تاج الإمبراطورية إمارة وراثية كان شارل الخامس قد أعطاها لأخيه فرديناند الأول في 1556م، علاوة على ممالك بوهيميا والمجر التي كانت له، وكانت الشعوب التي تسكن هذه الممتلكات غير متجانسة، وتتحدث أكثر من لغة، وكان تقسيم الممتلكات بين أبناء فرديناند الأول من ناحية، وانتشار المذهب البروتستانتي في كل النمسا، وزيادة أعدادهم في الدايت، وسيطرتهم على جامعة المذهب الكلفني في المجر، يهدد أسس حكم هذه المجموعة الخاصة لسلطة الهابسبورج، وكان اعتناق مذاهب دينية مختلفة يعبر عن الرغبة في التميز، وظهور القوميات المحلية الجديدة[5].

4-لم يفسح صلح أوجزبرج الديني المجال للكلفنية التي كانت قد بدأت تنتشر في أوربا عامة - وفي ألمانيا بخاصة - نتيجة لنشاط دعاتها، ولذا فإن أتباع الكلفنية قاموا يعارضون الحكومات، ويجاهدون ضد مساعي الكنائس، مقدمين أنفسهم للتضحية من غير خوف، خاصة وأن الكلفنية صارت معرضة للأخطار التي تهددها في وجودها نفسها، حيث أنها كانت في حاجة إلى سند قانوني تستند إليه لاستمرار وجودها لأن صلح أوجزبرج لم يعترف بالكلفنية كمذهب جديد.

5-عندما ازداد انتشار البروتستانتية في شمال ألمانيا وجنوبها اضطرت الكنيسة والأمراء الكاثوليك إلى العمل بجد ونشاط في

حركة الإصلاح الكاثوليكية، وقدم فيليب الثاني ملك إسبانيا واليسوعيين، خدمات كبيرة للكنيسة، وأخذت الحكومات الكاثوليكية في ألمانيا تضطهد البروتستانت، وعاد عدد كبير من الأمراء إلى اعتناق المذهب الكاثوليكي، فخاف البروتستانت عاقبة ذلك الأمر، فكونوا في 1608م الإتحاد البروتستانتي للدفاع عن مصالحهم المشتركة، فأسس الكاثوليك في العام التالى له "الحلف المقدس" لمواجهة هذا الإتحاد، وبذلك أنقسمت ألمانيا إلى معسكرين؛ كانا على استعداد للاشتباك في حرب عند أول فرصة، وكان الكاثوليك بزعامة "مكسمليان دوق بافريا" أكثر قوةً وتنظيماً، في الوقت الذي كان فيه البروتستانت بسبب انقسامهم بين لوثرين وكلفنيين مترددين، ووصل الخلاف بينهم في الكثير من الحالات إلى درجة العداء السافر، ولم يؤيدوا "فردريك الخامس" كونت البلاتين وكان كلفانيا وكان في نفس الوقت رئيساً للاتحاد البروتستانتي تأييدا كاملا[6].

6-كانت العلاقات الودية الفرنسية الإسبانية سبباً في أن تسهل عام 1613م تسوية الخصومة التي نشأت في سهل نهر "بو" بشأن وراثة "ماتوا" فعند وفاة الدوق الحاكم، والذي كان من "أسرة جونزاج" ادعي "شارل إيمانويل" صاحب سافوا ضرورة وضع يده على "مونفيرات" وعلى أساس أنها منطقة نفوذ أسروي، عليها أن ترجع إلى ابنته أرملة المتوفي، واحتل عسكرياً جزءاً منها، وذلك

في الوقت الذي إلتجأ فيه الوارث الشرعي إلى فرنسا الصديقة، وكان تفاهم حكومتي باريس ومدريد سبباً كافياً لإجبار صاحب سافوا على التخلي عن هذه الأماكن والعودة إلى بلاده[7].

7-بالرغم من حرب الثلاثين عاماً قد اتخذت شكل الصراع الديني، وأن الدين كان أشد العوامل أثرا في الصراع، فإن الدين لم يكن العامل الوحيد في أذهان رجال الكنيسة، فالأسباب الاقتصادية والسياسية كانت ذات أثر مهم في قيام هذه الحروب، ومثال ذلك أن فرنسا كانت كاثوليكية، ومع ذلك فقد شاركت في الحرب إلى جانب الدول البروتستانتية، أما مطامع السويد الاقتصادية فقد كانت واضحة في هذه الحرب، حيث أن هدفها يكمن في السيطرة السياسية والتجارية على الساحل الجنوبي لبحر البلطيق إضافة إلى السيطرة جلية في هذه الحرب، حيث أنها كانت تهدف إلى الاستيلاء على بعض الأراضي الألمانية، إضافة إلى التعصب المذهبي[8].

ومما زاد الكفاح الألماني تعقيداً اشتباك شعوب غير ألمانيا منوعة فيه وهي البوهيميون والسويديون (الذين كانت لهم ملكية بروتستانتية جديدة نشأت تحت جوستافوس فاز كنتيجة مباشرة للإصلاح الديني) وأخيراً تدخلت الملكية الفرنسية وقد أنتصرت نهائيا على نبلائها، فعضدت البروتستانت، وإن كانت كاثوليكية رامية بذلك إلى غاية واضحة هي

الحلول محل آل هابسبورج في رياسة الإمبراطورية[9]، وقد مرت هذه الحرب بأربع مراحل.

✶ مراحل حرب الثلاثين عاماً

أولاً: المرحلة البوهيمية البلاتينية (1618-1623)م: وهذه المرحلة ثار فيها سكان بوهيميا من أجل الاستقلال الديني والسياسي على أسرة الهابسبورج، وذلك لعدم وفائها بما وعدت من إصلاحات وقد فشل البوهيميون في بداية الحرب نظراً لعدم دخول اللوثرين الحرب ولعدم استعدادهم، وقد حلت أول هزيمة بهم في نوفمبر 1620م، وذلك في موقعة التل الأبيض، وهكذا عادت بوهيميا من جديد إلى الكاثوليكية، وأصبحت الولايات البروتستانتية الأخرى في خطر، وفي الوقت عينه زادت مساحة الولايات الكاثوليكية على حساب الولايات الألمانية البروتستانتية، وقد ترتب على ذلك انضمام "كريستان الرابع" ملك الدنمارك اللوثري المتعصب إلى جانب البروتستانت[10].

ثانياً: المرحلة الثانية "الدنمارك (1625 -1629): برزت في أعقاب الحرب البوهيمية حقيقتان؛ أن الإسبان أخذوا يقيمون التحصينات في منطقة الراين ويقومون مراكزهم ضد الفرنسيين والهولنديين، وأن أسرة الهابسبورج استعادت سيطرتها على بوهيميا وحشت قوتها على أعدائها، وقد انتخب فردناند ملكاً على بوهيميا، وصادر نحو نصف ممتلكات النبلاء وأراضيهم، ومنحها للكنائس الكاثوليكية واالأديرة وللمغامرين الذين

وقفوا بجانبه في الحرب ضد بوهيميا، وبدأت كتلة بوهيما من جديد، كما انضم اللوثرين وسكسونيا إلى جانب الإمبراطور، مما أدى إلى انتكاسة البروتستانت، واحلال الإتحاد البروتستانتي عام 1621م، وانتقلت قيادة الشئون البروتستانتية إلى يد ملك الدنمارك "كرديسيتان الرابع" الذي كان لوثرياً متديناً[11].

ولم يكن حظ "كريستان الرابع" بأحسن من حظ فردريك الخامس، فلقد هاجمه جيشان؛ الأول بقيادة "مكسمليان" أمير بافار، والثاني هو الجيش الذي كان المغامر والنشتاين قد أنشأه من أجل الإمبراطور، وتم تكوين هذا الجيش دون أن يكلف الإمبراطور شيئاً، اذ أنه كان جيشاً يعيش على الأسلاب، وبلغت قوته 22ألف مقاتل، ودخل الحرب فى عام 1625م ضد جيش ملك الدنمارك، وانهزم ملك الدنمارك الذي كانت قواته قد توغلت في ألمانيا أمام الجيش الأول ثم الجيش الثاني عام 1626م، ورأي أن ممتلكاته ومملكته قد أصبحت مهددة بالغزو، فاضطر إلى عقد "صلح لوبيك" الذي تعهد فيه بعدم العودة للتدخل في شئون ألمانيا[12].

وقد استمرت المرحلة الثانية من الحرب من سنة 1625م إلى سنة 1629م، وبدأت بدخول الدنمارك في النزاع إلى جانب البروتستانت، وفيها انتصر الكاثوليك مرة ثانية على البروتستانت في "موقعة لوثر" أغسطس 1626م، وقد أدى ذلك إلى التهديد الفرنسي والانجليزي

والهولندي بالتدخل في الحرب من أجل نصرة البروتستانتية، وبالتالي أدى هذا التحول في سياسة هذه الدول إلى حصول ملك على صلح مشرف عُقِدَ في 1629م، وبمقتضاه استردت الدنمارك ما فقدته من أرض في الحرب ومقابل ذلك تعهدت بعدم التدخل في الشئون الألمانية[13].

ثالثاً: مرحلة دخول السويد الحرب:كان جوستاف أدولف "Gustavus Adolphus" ملك السويد المعروف بتمسكه بالبروتستانتية من أقدر القواد الأوربيين في القرن السابع عشر، وحاكماً قديراً تمكن من جمع الشعب السويدي تحت لوائه، وتكوين جيش بأحدث الأسلحة مدرب على أيدي خبراء من العسكريين الهولنديين[14]، وكانت السويد تهدف إلى السيطرة على بحر البلطيق من أجل تحسين اقتصادها فهي دولة صغيرة ومواردها محدودة، وكان أدولف يخشي سيطرة الكاثوليك التامة على ألمانيا من جديد، وبالتالي ربما عبور بحر البلطيق والاستيلاء على السويد ذاتها، ولهذا السبب أسرع إلى غزو ألمانيا قبل أن تقوم الأخيرة بغزو السويد، وفي البداية انتصرت السويد وسيطرت على بافاريا وميونخ، إلا أن جوستاف قد مات في إحدى المعارك في عام 1632م، وقد أثر ذلك على السويد مما أدى إلى انتصار الكاثوليك على البروتستانت في عام 1634م، وبذلك أنقذت الكاثوليكية الألمانية من هيمنة بروتستانتية دائمة، وهنا جاء الدور الفرنسي حيث أعلنت فرنسا الحرب على إسبانيا حليفة الإمبراطور في عام 1635م[15].

رابعا: مرحلة دخول فرنسا الحرب: والتي امتدت إلى كل غرب أوربا وعقد ريشيليو سلسلة من المحالفات مع الوصي على عرش السويد ومع الأقاليم المتحدة ومع بعض أمراء البروتستانت في ألمانيا ومع السويسريين وبعض أمراء إيطاليا والأحوالهم دوق سافوا، ودفعت فرنسا معونات سنوية لكل حليف من هؤلاء الحلفاء، وحاربت فرنسا النمسا وإسبانيا في 1635م، ومنذ ذلك الوقت لم تعد المسألة مجرد حرية ألمانيا بل تحولت إلى صراع بين الأسرة الحاكمة في فرنسا والأسرة الحاكمة في النمسا، وحارب الفرنسيون من أجل الحصول على طاعتهم التي كانت تحكمها إسبانيا والنمسا وقد امتدت الحرب ثلاثة عشر عاماً (1635-1648)م، ودارت في حدود جبال البرانس وفرانش كونتيه وحدود فرنسا مع الأراضي المنخفضة والإلزاس وألمانيا[16].

كانت الحرب قد تحولت إلى حرب دولية فوق أرض ألمانيا، وساد الشعب الألماني استياء وطني تجاه الغزو الأجنبى حتى أخذت آثاره تظهر بوضوح، وأخذت الولايات الألمانية تطالب بالصلح، وبإيجاد تسوية دينية نهائية وبإصلاح الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وقد أنهي أمر المفاوضات بصلح وستفاليا 1648م، والذي يعد من المعاهدات الأوربية المهمة التي لم تغير معالمها إلا الثورة الفرنسية[17]، وبالرغم من هزيمة القوات الفرنسية والسويدية المتحالفة في المعارك الأولي إلا أن الفرنسيين سرعان ما استعادوا نشاطهم الحربي واستولوا على الإلزاس وبعض

مناطق الراين الأعلى في 1639م، ولها رأي الإمبراطور الثالث ضرورة التفاوض بخصوص عقد صلح بين الأطراف المتنازعة.

أما عن مصالح هولندا وانجلترا وفرنسا، فعندما كان من الصعب عن الهولنديين أن يتوقعوا مجئ مدد إليهم من الخارج قبل عام 1635م، كانت فرنسا تتهرب، وكانت تخضع للتأثيرات التي تأتي إليها من وراء الجبال، وكانت انجلترا البروتستانتية قد أصابها الملل تحت حكم جيمس الأول السلمي، وكان تقارب عام 1604م مع إسبانيا مصحوباً ببرود تجاه الأقاليم المتحدة، وجاءت إحدى الخصومات التي سوف تمتد لعدة سنوات، وجعلتهم يواجهون بعضهم بشأن حقوق الصيد، وكان الصيادون الهولنديون يذهبون للصيد منذ وقت بعيد عند السواحل الشرقية لانجلترا، وكانت المعاهدات تضمن لهم هذا الحق، وفي بداية القرن السابع عشر طالب الصيادون الانجليز بالتخلص من هذه المسافة، خاصة وأن المملكة كانت قد تحولت كلها إلى مذهب الإصلاح الديني من هذه المنافسة، وأصبح سكانها لايتبعون نظام طعام يوم الجمعة بنفس الصرامة، كما كان عليه الحال في الماضي، الأمر الذي أدى إلى نشأة صعوبات في بيع السمك وصدر مرسوم ملكي في عام 1609م بمنع كل الأجانب من الحضور للصيد عند السواحل الانجليزية بدون تصريح، واضطروا أمام احتجاجات الهولنديين إلى تأجيل تطبيق هذا المرسوم، ثم بدأوا في المناقشة التي امتدت لمدة سنوات[18].

على أي حال تعهد الهولنديون بدفع مبلغ كبير كانوا سيحصلون عليه من فرضهم ضريبة على كل سفنهم التي تعمل في الصيد، ولكن هذا لم يحل المشكلة خاصة وأن الصيادين رفضوا دفع الضريبة، واستمر وضع التوتر الانجليزي الهولندي، ولم ينته إلا بعد عام 1621م، وكان الهولنديون قد واقفوا على تقديم التنازلات الضرورية حتى يحصلوا على التأييد المعنوي لانجلترا ضد إسبانيا.

وظلت فرنسا مثل انجلترا لسنوات طويلة، أخذت موقف المتفرج وظهرت على أنها غير مهتمة بأحداث ألمانيا، وفي الوقت الذي كانت تم فيه حرب البلاتينيات، كانت فرنسا مشغولة بأمر إقليم فالتيلين- إقليم صغير كانت ترغب إسبانيا في احتلاله، كان خاضعاً لإحدى الدول الداخلة ضمن الإتحاد السويسري، فهو أكثر ممرات جبال الألب أماناً من الجنوب إلى الشمال ومن إيطاليا إلى ألمانيا-، وبضغط من فرنسا تم التنازل عن هذا الإقليم بمعاهدة تم التوقيع عليها في مدريد عام 1621م، ولكن لم تستطيع فرنسا الإستمرار في العمل لمدة عامان؛ حيث كانت مشغولة داخل حدودها بحرب جديدة مع الهيجونوت، وفي أكتوبر 1622م تم توقيع الصلح في مونبيليه ورفع سكرتير الدولة للشئون الخارجية شعار إعادة الفالتيلين[19].

✶معاهدات وستفاليا وصلح البرانس:

تعتبر وستفاليا ذات أهمية خاصة في التاريخ الأوربي الحديث فهي أول المعاهدات التي نظمت شئون أوروبا إلى حد ما، وأول معاهدة اتخذت الطابع الدولي؛ فقد وضعت معاهدة وستفاليا حداً للحروب، وأدت إلى نهاية عصر الإصلاح الديني، أما المنازعات الدولية التي وقعت بعد صلح ستفاليا فقد اتخذت صبغة سياسية قومية؛ وهي المنازعات التي حدثت بين السويد وبولندا ثم حروب لويس الرابع عشر التوسعية[20]، وكانت وساطات الصلح معروضة بين الأطراف المتحاربة وخاصة من البابا والبندقية منذ 1636م، ولكنها لم تؤد لنتيجة وانعقد المؤتمر في 1644م، واشتمل على ممثلين لفرنسا والسويد وامبراطور النمسا وملوك الدنمارك وإسبانيا، والأقاليم المتحدة والأمراء الألمان علاوة على ممثلي البابوية والبندقية.

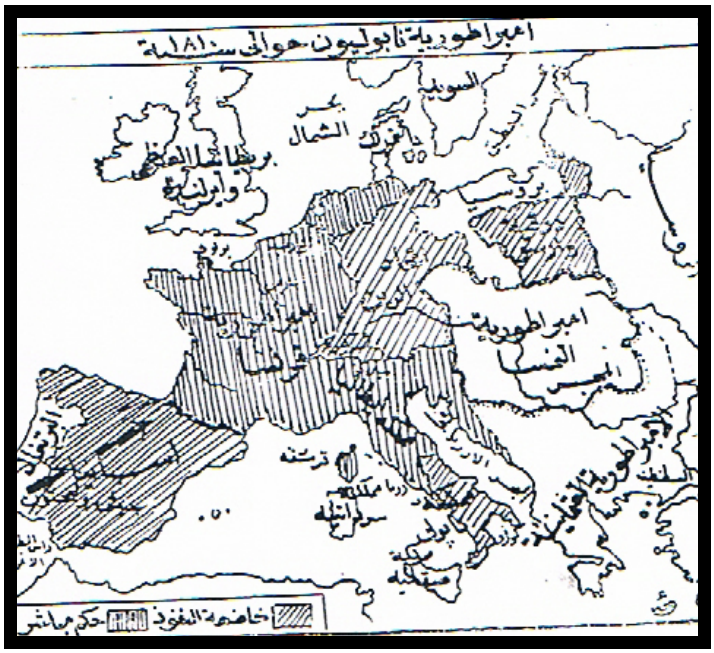

وقدم الفرنسيون مطالبهم باللغة الفرنسية، بعد أن كانت اللغة اللاتينية هي لغة التخاطب بين السفراء والممثلين والدبلوماسيين حتى ذلك الوقت، وهكذا أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة الدبلوماسية وتم التوقيع على المعاهدات في 1648م، ولقد سوت المعاهدة المسائل الدينية والسياسية الألمانية وكذلك السلام الأوربي، كما اعترفت المعاهدة بوجود الكلفنية إلى جانب اللوثرية[21]، وفيما يتعلق بالأقاليم التي أخذتها الممالك المنتصرة (السويد وفرنسا):

1- أخذت السويد نصف بومرانيا"Pomerania" وبريمن "Bremen" وفردون "Verdum" على مصب الألب "Elbe" والويزر "Weser" وبذلك أحرزت السيطرة التي كان يريدها جوستاف أدولف على بحر البلطيق، وكذلك أعطتها حق الجلوس في مجلس الدايت الألماني، مما يسمح لها بالتدخل قانونياً في الشئون الألمانية.

2- أخذت فرنسا مقاطعة الإزاس النمساوية ماعدا ستراسبورج "Strasburg" الحرة وامتلاك فرنسا لتول "Toul" ومتز "Mest" وفردان "Verdan"[22].

ومن ناحية أخرى كان تأثير صلح وستفاليا كبيراً على إسبانيا فهذه الدولة أخذت تمر بأزمات اقتصادية وسياسية، أما إيطاليا فقد أثرت الحروب الدينية على مركزها وصارت منذ هذا الوقت دولة مجزأة اقتصادياً

وسياسياً، وجاء صلح البرانس لكي يوضح انتصار الأسرة الحاكمة في فرنسا على أسرة هابسبورج الإسبانية بعد أن كانت معاهدات وستفاليا قد نصرتها من قبل على أسرة هابسبورج النمساوية[24]، وأصبح في حوزة أمير ألماني هو "براندنبرج سليل" آل هوهتزلرن قدر عظيم من الأراضي جعل بين يديه أعظم قوة ألمانية تلي قوة الإمبراطور، وهي قوة سرعان مما أصبحت في عام 1701م مملكة بروسيا[25].

وكما أن "معاهدات وستفاليا" تمثل نقطة تحول كبيرة في تاريخ ألمانيا، فإنه يمكن اعتبار معاهدة البرانس على أنها تمثل تاريخاً مهماً بالنسبة لإسبانيا، هذا علاوة على أنها تعتبر دلالة واضحة في التاريخ العام لأوربا من وجهة النظر السياسية والعسكرية، فلقد انتهت فترة التفوق الإسباني، أما قوة ال هابسبورج مدريد، ورغم أنها كانت لاتزال كبيرة، فقد أصبح من الصعب وضعها في نفس مستوي قوة فرنسا[26].

أكد صلح وستفاليا شروط صلح أوجزبرج 1555م، واعترف بمذهب كلفن، ومنح أصحاب هذا المذهب نفس الحقوق التي كانت للوثريين، ولم ينص على شئ بشأن إعلان التسامح الديني بالنسبة للأفراد، وإنما ترك المبدأ الذي يعطي لكل أمير الحق في اقرار المذهب الموافق لمنطقته، وهذا يعني أن حكام الإمارات أو الولايات هم المنوطين باختيار المذهب وليس الحكوميين – أما فيما يختص بأملاك الكنيسة فقد حدد أول يناير 1624م حداً فاصلاً؛ بمعني أن الحقوق التي كانت

للوثرين في ذلك الوقت تبقي معهم، وكذلك الأراضي التي كانت للكاثوليك تبقي في حوزتهم، ومع أن هذا الصلح حل المشكلة الدينية بصورة جذرية، إلا أنه اعترف بانقسام ألمانيا إلى جنوب كاثوليكي وشمال بروتستانتي، كما أعطي الصلح للأمراء الألمان حق عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية، وحق التمثيل الخارجي وتكوين الجيوش، وبذلك أصبحت الإمارات من وجهة النظر القانونية في حكم المستقلة، الأمر الذي ترتب عليه أن صار تفكك أوصال ألمانيا كاملاً[27].

كان المفاوضون الإسبان قد أنسحبوا من المؤتمر، بعد أن قرروا أن الهولنديون سيوقعون على المعاهدات، واعترفت هذه المعاهدات بالاستقلال التام للأقاليم المتحدة، وجاء الصلح في هولندا لكي يعطي لـ "فيليب الرابع" حرية التصرف في قواته التي كانت بدون تسوية، خاصة وأن فرنسا شهدت حرب الفروند، الأمر الذي شجع إسبانيا على أن تستمر في الحروب ضدها ولقد استمرت الحرب بين إسبانيا وفرنسا لمدة اثنتي عشر سنة أخرى، تحالفت فيها إسبانيا منذ عام 1651م مع "دوق كونديه" الثائر.

في عام 1658م عقد مزران تحالفاً مع الانجليز، وتنازل لهم عن ميناء "دنكرك" والتي كانت في أيدي الإسبان، وأرسل كروميل جيشاً من ستة آلاف جندي، تعاون مع الجيش الفرنسي، وسمح له بالانتصار على الإسبان وحلفائهم الفرنسيين الثائرين قرب دنكرك التي استولوا عليها

وسلمت للانجليز، وشعر ملك إسبانيا بأنه قد فقد جيشه، فوافق على التفاوض، وعقد صلح المعروف باسم "صلح البرانس" مع فرنسا في 7 نوفمبر 1659م، وحصلت فرنسا على روسيليون في الجنوب، وارتوا في الشمال، مع بعض المواقع في الفلاندرز وفي إقليم لوكسمبورج، كما نصت المعاهدة على زواج لويس الرابع عشر من ماريا تريزا – الابنة الكبري لفليب الرابع–، وظلت هذه المسألة لمدة خمسين عاماً، أساساً لسياسة لويس الرابع عشر الخارجية ولسياسة لويس الرابع عشر الخارجية وللسياسة والدبلوماسية والحروب.

وجاء صلح البرانس لكي يوضح انتصار الأسرة الحاكمة في فرنسا، على أسرة هابسبورج الإسبانية، بعد أن كانت معاهدات وستفاليا قد نصرتها من قبل على أسرة هامسبورج النمسوية، وزادت ثلاثة مقاطعات هي إلالزاس وارثوا وروسيليون من مساحة فرنسا، التي أصبحت في عام 1649م هي القوة المسيطرة في غرب أوربا[28].

وقد ترتب على طول أمد هذه الحرب، وعدم جريانها على امتداد جبهة محددة، لتنأثرها في كل أرجاء إمبراطورية قوامها الرقاع: فمن بروتستانت في مكان وكاثوليك في مكان آخر – أن تحولت إلى حرب من أقسي الحروب وأشدها تدميراً، حرب لم تشهد أوربا لها مثيلا منذ أيام الغارات الهمجية، مع فارق حداثة التسليح والتكتيك والتدريب، وكانت الحرب في مثل تلك الظروف موكولة تماماً إلى جنود مدربين محترفين،

تفاقمت فيها محنة البلاد المالية، أدت إلى قيام قواد كلا الجانبين بنهب المدن والقري، رغبة في المؤن والتعويض عن متآخرات جنودهم، ومن ثم أخذ جندهم يتحولون إلى النهب والسلب على حساب البلاد، وأوجدت حرب الثلاثين سنة تقاليد من النهب والسلب، بوضعهما عملية قانونية في الحرب، ومن انتهاك الحرمات بوصفه امتيازا للجندي، وهي تقاليد لوثت سمعة ألمانيا حتى الحرب العظمي 1914م، واعترفت معاهدة وستفاليا أيضاً بحقيقتين مقررتين وهما : الإنفصال عن الإمبراطورية والإستقلال التام لكل من هولندا وسويسرا[29].

وهكذا نري أن هذه الحرب أنهت الحروب الدينية العامة، وبدأت فكرة التسامح الديني، وخرجت فرنسا منها متفوقة براً وبحراً في أوربا، ومهدت بذلك الطريق لحروب لويس الرابع عشر، وكذلك وصلت السويد بمعاهدة وستفاليا إلى أقصي ما وصلت إليه من العظمة والرقي، وأن بدأ تدهورها بعد ذلك سريعاً بسبب ظهور قوة في الشرق، ودوقيه برندنبرج شمال ألمانيا[30].

الفصل الخامس

الثورة الفرنسية

جاءت الثورة لأن الملكية عجزت عن حل مشكلة الامتيازات، فقد كان الأشراف يستأثرون بأعلى مناصب الدولة، مدنية كانت أو عسكرية، ومع ذلك كانوا يعفون من أعباء الضرائب إلا القليل منها، كما كانت لهم حقوق وامتيازات من بقايا النظام الإقطاعي؛ مثل حق الصيد في مزارع الأهالي وحق القضاء بين المزارعين، ولهم نصاب معين من الغلال، أو عدد معين من الغنم والطيور كل عام، وكانوا يرغمون المزارعين على أن يطحنوا غلالهم في طاحون الشريف، وأن يعصروا عنبهم في معصراته، ويدفعون الأجر الذي يفرض عليهم وهم صاغرين، ولم تكن من القوة بحيث تنبذ بقايا النظام الإقطاعي الذي كان في فرنسا، كما كان في معظم ممالك أوربا الأخرى، ثقيل الوطأة على الأهالي، ولقد كان ثمة معضلة أخرى ذات صبغة اقتصادية حارت حكومات النظام القديم في علاجها، ذلك أن موارد طعام الشعب لم تكن ميسورة مضمونة، فمع كل ثروة فرنسا الزراعية، وترف طبقتها العليا، كانت بعض طبقات الأمة عرضة بين آن وآخر لفتك المجاعات وأهوالها[1].

وكانت الإدارة المالية تتميز بدرجة من الفوضي بلغت حد عدم التمكن من وصفها إلا على وجه التقريب، فقدرت التنبؤات التي عملت في مارس 1788م، وهي أولي وآخر ميزانيات النظام القديم، المصروفات بـ

629 مليون والإيرادات بـ 503 مليون، أي مع عجز يصل إلى 269 مليون أو إلى 20% من الميزانية، وأرجع المعاصرون مسئولية ذلك إلى اسراف البلاط ومكاسب رجال المال، وكان من الممكن الاقتصاد، ولكن إدارة الدين طالبت بمبلغ 318 مليون، أي مايزيد على نصف المصروفات إلى هذا الحد إلا بإعلان الإفلاس، فكانت الضرائب، وكانت هناك بعض الأقاليم تدفع أقل من غيرها، وكان البرجوازيون يدفعون أقل من الفلاحين والنبلاء ورجال الدين أقل من ذلك أيضاً، وكان من الممكن أن تحل الأزمة بسهولة، فكانت المساواة في دفع الضرائب تكفي لذلك[2].

ومن أجل الإصلاح في فرنسا اقترح "ترجو" "Turgot" إلغاء نقابات طرائف العمال، واطلاق تجارة الحنطة من كل قيد، وكانت أكبر العقول في فرنسا وقتئذ كانت تؤيده فهو أعظم وزراء فرنسا (1727-1781)م، ولكن برلمان باريس كان أيضاً محبوبا من الشعب، فقد عده الحائل الفعال الوحيد دون طغيان العرش، ولذا عزل ترجو بعد مكثه في الوزراة ثلاثة عشر شهراً لم ينجز فيها شيئا، وخلفه في الوزارة "نكر" "Necker" (1379-1794)م، وهو بروتستانتي جمهوري من أهل جنيف، واشتغل أولاً في أحد المصارف، وقد ظفر نكر بحب الجمهور إبان اشتراك فرنسا في حرب الإستقلال الأمريكي، بدفعه نفقات تلك الحرب بالقروض، ولكنه فقد ذلك الحب حالماً شرع في إنشاء مجالس محلية، تحل مندوب الملك في الأقاليم في تأدية واجباتهم الإدارية، وعزل نكر من منصبه سنة 1781م.

ومن أجل الإصلاح أيضاً قدم "كالون" "Calonne" (1783-1787)م مشروعاً يأخذ ضريبة مالية على عقار من الأرض "ضريبة العقار"، فأثار ذلك الأرستقراطيين إلى درجة عظيمة من الغضب، وطالبوا بدعوة "مجلس الطبقات" "States General" الذي لم يجتمع منذ عام 1614م، وكان ذلك المجلس جمعية تضم ممثلي هيئات ثلاث "النبلاء، ورجال الدين، العامة[4]، وقدم كالون مذكرة إلى الملك لويس السادس عشر في أغسطس 1676م، قصر على ضرورة إصلاح الدولة، كما اقترح كالون تعميم ضريبة الملح، وكذلك احتكار الطباق، وأن يبدلوا ضريبة الرؤوس وضريبة الواحد من عشرين بإعانة إقليمية يدفعها كل الملاك العقاريين، ضريبة العقار السابق ذكرها بلا إستثناء.

ومع أن التضحية المقترحة على أصحاب الامتيازات كانت متواضعة، إلا أن كالون لم يعقد أي أمل على الطريقة التي ستقابل بها البرلمانات مشروعه، وكان الملك قد فقد كل هيبة، فكان يقضي وقته في الصيد وفي الأشغال اليدوية، وكان معروفاً بالشراهة في الأكل والشرب، عزوفاً عن الناس وعن التسلية، وكانت الإشاعات قد انتشرت عن أن "ماري انطوانيت" قد تسببت بمسألة العقد سنة 1785م في أن يفقد سمعته، وتفادى كالون الملك وفكر في جمع مجلس من الأعيان والنبلاء، إلا أن إثارة الإرستقراطيين في اجتماعهم 1787م، ومهاجمة الأعيان مشروع كالون وبرغبة الملك فقد أقاله الملك في نفس العام.

جاء بعده "بربين" الذي حاول ألا يمس بحقوق رجال الدين، ولكن الأعيان لم يوافقوا على مشروعه الخاص بالدفعة والإعانة الإقليمية، وقرروا الرجوع إلى مجلس طبقات الأمة، وأصبح على بربين أن يتعامل مع البرلمانات، ورفض برلمان باريس الإعانة الإقليمية، كما اعترض على ضريبة الدمغة، ودفع الأمر لمجلس طبقات الأمة، وحاول بربين الحصول على قرض بمبلغ 120 مليون على خمس سنوات، ولكن دوق أورليان احتج على ذلك[5].

وكانت الأزمة الاقتصادية من الأسباب التي عجلت بالثورة، فمنذ عام 1778م كان الإنتاج قد اعترضته مشاكل نشأت من المشكلات الزراعية، وفي عام 1785م مرت البلاد بموسم الجفاف والقحط في أنحاء البلاد، وانخفض أنتاج الحبوب إلى أدني مستوي عرفته فرنسا، وأخذت أسعار الخبز في الإرتفاع المطرد[6]، وكانت الدول بشكل عام؛ ومنها فرنسا تمارس سياسة تجارية، وتمارس منع الإستيراد، وتفرض الضرائب المرتفعة، على الواردات وكانت هناك قوانين الملاحة، واحتكار المستعمرات، الأمر الذي ساعد على تكدس رؤوس الأموال والاحتفاظ بها داخل البلاد، وبخاصة فيما يتعلق بمكاسب النقل، وإنشاء الورش الصناعية.

وساعد الأمراء وحاشيتهم صناعة الكماليات التي كانت لازمة للطبقات الحاكمة، ولكن المجهودات التي بذلت من أجل الإنشاءات

البحرية والنسيج والصباغة، ونتيجة لطلبات القوات المسلحة، وعمليات منح الضرائب المباشرة لبعض الأفراد عن طريق الإلتزام، وبمنح الموردين عمليات القيام ببعض الخدمات العامة، وحتى تزود الجنوب بمرتباتهم، ساعدت كلها على ازدهار الخدمات العامة، وحتى تزود الجنود بمرتباتهم، ساعدت كلها علي ازدهار متزايد لرجال المال والمصارف.

اضطرت الحكومة أمام ازدياد ديونها إلى إعادة صهر القطع الذهبية سنة 1775م، لكي تقلل من وزن القطع الجديدة، ساعدت ذلك على زيادة الإستهلاك من ناحية، وتوفر الأيدي العاملة من ناحية أخرى، وكان الميزان التجاري لفرنسا في غير صالحها، إذا أن وارداتها كانت أكثر من صادراتها، ورغم نمو بحريتها فإن وسائل النقل الداخلي فيها كانت تتميز بالتخلف، نظراً لقلة القنوات الصالحة للملاحة، وقلة طرق المواصلات، رغم إستخدام السخرة في إنشائها، وكانت الجمارك الداخلية ودفع الرسوم فيها تزيد من الإنفصال بين المقاطعات، ولم تصرح الحكومة بنقل الحبوب بين مقاطعة وأخرى، وظل أغلب الفلاحين يزرع الكروم[7].

وكان للحالة الاجتماعية في فرنسا دور كبير في التعجيل بالثورة، فرجال الدين يمثلون أولي الطبقات الاجتماعية الموجودة، وبدأ عهد جديد من الإضطراب الديني في فرنسا في نوفمبر 1789م، عندما صودرت أراضي الكنيسة لتسديد الديون، واقترن بهذا القرار إعلان "الجمعية الوطنية" تخصيص اعتماد لدفع نفقات الشعائر العامة ومرتبات

الأكليروس وغوث الفقراء، وأدى المشروع وما تضمنه من خفض لدخل رجال الدين إلى إيغار صدورهم، وزاد من سوء الحالة القرار الصادر في ديسمبر بإعلان بيع ما قيمته 400 مليون جنيه من الممتلكات المنزوعة من الكنيسة، وزادت الحدة عندما أصدر ثلاثون من الأساقفة في الجمعية الوطنية النشرة الشهيرة التي تضمنت مبادئ الدستور المدني لرجال الدين، وأعلن اليعقوبيون في الأقاليم عن تأييدهم للدستور المدني لرجال الدين[8].

واحتفظت الكنيسة في فرنسا بثراوتها وامتيازاتها، ورجال الدين كانوا يمثلون أقلية صغيرة، وقدر عددهم في فرنسا بما يقرب من 130 ألف شخص، موزعين مناصفة بين إقامة الشعائر وبين الجماعات الدينية، ولنفوذ رجال الدين كان النبلاء يعينون أبنائهم في الأسقفيات والأبرشيات والكنائس، وشكا صغار رجال الدين وجمهور المسيحيين من عدم صرف إيرادات الكنيسة في أوجهها، وكان رجال الدين يكونون " جماعة ولا يكونون " طبقة "، وجاءت الثورة الفرنسية لتهز أركان الكنيسة أكثر وأكثر بدعوتها للحرية المطلقة، فهي لم تقم فقط ضد نظم الحكم القديمة، وإنما ضد كل ما يحد من الحرية أو يقيدها كالتعليم الدينية، وكانت هذه بمثابة دعوة إلى الفوضوية من وجهة نظر الكنيسة ثم زاد نابليون الطين بلة، بخلعه "البابا بيوس السادس" من منصبه ونفيه إلى فالنسيا حتى وفاته هناك عام 1799م، ثم وجه نابليون ضربته التالية

حين تجاهل وجود "البابا بيوس السابع" أثناء احتفالات تتويجه في كنيسة نوتارتام، حيث قام بوضع التاج لنفسه وللامبراطورة أوجيني.

وكان البنلاء يكون طبقة لها امتيازاتها واحتفظ بالتقاليد الخاصة بهم، وكان النبل وراثياً، يحصلون عليه بالمولد، ولذلك كانوا يحاولون الأبقاء على دمائهم نقية، وقد أخذ الملك في بيع المناصب للنبلاء الرداء بطريقة وراثية أو شخصية، وظل من بين سلطات السيد جزء من ممارسة القضاء والإشراف على الأمن في القري وبعض الإحتكارات مثل الصيد وبعض الضرائب والسخرة وخدمة الأرض، واحتفظ النبلاء بمزارع خاصة بهم، وكانت الإرستقراطية تتنافس مع السلطة الملكية، ومع الطبقة البروجوازية في نفس الوقت، وكانت تشعر بضغائن عميقة تجاه السلطة الأولي التي كانت قد أخضعتها، وبشعور بالإنفصال والترفع عن الثانية التي كان نموها يهددها، وكانت تمثل أقلية صغيرة للغاية وقدر عددها في فرنسا بنحو 110 ألف نبيل(9).

وقد أسفر الضغط الاجتماعي المتزايد عن سيل من الإتهام والقضايا، وأعمل العنف من جانب الفلاحين، فتفاقمت بذلك التوترات الاجتماعية في الريف، وكان النبلاء يعفون من ضريبة "التاي" "Taille" وهي الضريبة العقارية المفروضة على الأراضي والمسكن، ومن السخرة الملكية لبناء الطرق وصيانتها، وضريبة الرؤوس "Capitation" وضريبة الدخل "Vigntieme"، وبذلك تعدي سخط الفلاحين النبلاء إلى

النظام نفسه، نظام العلاقة الإنتاجية الذي يسند مصالح هؤلاء النبلاء[10].

أما البرجوازية لم تكن جماعة ولا هيئة، ولكنها كانت تكون القطاع الأكثر ثروة والأكثر قدرة بما كان الفرنسيون يسمونه الطبقة الثالثة، وكان أولئك الذين يعتبرون أنفسهم على أنهم بورجوازيون بمعني الكلمة كانوا عدداً بسيطاً من رجال المال وعلى درجة من الثروة، وكانوا يسايرون ويحاربون أعضاء المجموعتين الآخرتين، على أساس كونهم من الأغنياء، وكان الموظفون يمثلون نسبة كبيرة من هذه الطبقة، وكانوا قد حصلوا على عقود شراء أو التزام وظائفهم، وكان بعض هؤلاء الموظفين قد حصل على ألقاب النبل، فإن البرجوازية كانت تحتك بطبقة نبلاء الرداء والإدارة[11]، أما المجموعة الثانية من البرجوازية فكانت سلطتها أقل، رغم أن ثروتها كانت أكثر، وكانت تضم رجال المال المشرفين على الشئون الاقتصادية والموردين، ومر الكثير من بينهم إلى صفوف النبلاء، وهذه البرجوازية العليا كانت تضم بعض رجال الصناعة أو أعضاء الغرف التجارية، أما ما نسميه بالطبقة الوسطي أو صغار البرجوازية؛ فكان الأعيان يسمونه بالشعب، وبكل احتقار إذ أنها كانت تعمل بأيديها؛ مثل وكيل البريد والمقاول وبائع الكتب وصاحب بنك الرهونات وبعض الجراحين، إذا أن غالبيتهم من الفقراء[12].

أما الفلاحون فقد استمر نظام عبودية الأرض في المناطق الغربية من القارة، وكان يشتمل على إبقاء حقوق السادة، وفي فرنسا حرر لويس السادس عشر عبيد الأرض، فأصبح ثلث الأراضي تقريباً في أيدي الفلاحين، وأصبح صاحب الحيازة الحرة، يمارسها ويورثها ويتصرف فيها كما يرغب، ولكن بالنسبة للبورجوازيين وسكان المدن وكذلك البنلاء، ظل الفلاح في كل مكان هو الكائن الجاهل الخشن الذي كان مصيره وطبقا للتقاليد هو خدمة الطبقات الحاكمة وتمويل الخزانات الملكية وإطعام سكان المدن، وكان كل سكان القرية يتحملون سلطة السيد وإلتزاماته الشخصية، وكانت الحيازة تؤدي إيرادات حقيقية، مثل الضريبة الخاصة بالملكية والإيجار ونسبة من المحصول، وضريبة خاصة بالنقل من أرض إلى أرض أخري والخاصة بالبيع.

علاوة على ذلك كان رجال الدين يجمعون ضريبة العشور، والتي كانوا يعطونها في بعض الحالات لأحد المدنيين بطريق الإلتزام، وكانت هذه أكثر ثقلاً من حقوق السادة وأصناف الملك إلى ذلك الضرائب الخاصة به وبالدولة، وكان الريف يدفع تقريباً كل شئ، ولم يطلبوا من النبلاء إلا نسبة بسيطة من ضريبة الرؤوس وضريبة الواحد من العشرين، وكانوا يعفون البورجوازيين، واقتصر رجال الدين على تقديمهم الهبات بدون إلزام، ومع ذلك لم يكن هناك شيئاً يثير الفلاح أكثر من ضريبة الملح والمعونات التي كان يجبر على تقديمها وبإجباره على تموين الأسواق، فشعر أنه يعاملونه معاملة الدواب[13].

أما بالنسبة للأوضاع السياسية؛ فقد كانت الملكية منذ عهد لويس عشر قد أصبحت مطلقة ومركزية وبيروقراطية، والحقيقة أن رد الفعل الإرستقراطي كان يميز القرن الثامن عشر، مثله في ذلك مثل نمو البرجوازية، ولم تفكر في استخدام السلاح، ولكنها استخدمت وسائل برجوازية؛ مثل منافسة البلاط الملكي والاتجاه إلى الرأي العام، لعرقلة سلطة الملك والحد منها، وكان نبلاء السيف، الذين كانوا غالباً من أصل عادى رغم ادعاءاتهم، لم يبقوا في الصفوف الخفية، والتف حولهم الموظفون، أما السادة المتحالفين من الإساقفة، فإنهم سيطروا على المجالس الإقليمية، وتدريجياً تخلي خلفاء لويس الرابع عشر لهم عن الوظائف العليا في السلطة.

وأصبحت السلطة الملكية مهددة، بعد أن أصبحت ضعيفة، بأن تري رد فعل النبلاء يزداد جرأة ضدها، وكان من الممكن أن تؤيد البرجوازية طبقة النبلاء، وانتهى الأمر بنبلاء السيف، ونبلاء الرداء، والموظفين الذين كانوا يحافظون على تقاليدهم المهنية، ورجال القانون والفلاسفة الذين كانوا يستشهدون بالحق الطبيعي، ويصمون على التفكير العقلي، انتهى الأمر بهم جميعا إلى أن يحدوا بالقانون من سلطات الأمير، وأن يضمنوا حرية الفرد ضد التحكم، وكان كبار الملاك العقاريين والبورجوازيون والرأسماليون ينظرون بعطف إلى الحرية الاقتصادية[14].

وكان برلمان باريس قد وضع الضمانات الكافية لينعقد مجلس طبقات الأمة على النحو الذي يتفق مع مصلحة الطبقة الإقطاعية، فأضاف عن تسجيل المرسوم بدعوة مجلس طبقات الأمة هذه العبارة؛ طبقاً للنظام الذي اتبع في عام 1614م" ومعني ذلك أن يكون لكل طبقة من الطبقات الثلاث: البنلاء ، ورجال الدين والعامة، عدد متساوٍ من الممثلين، وتصدت كل طبقة على حدة، ويكون لكل منها حق نقض قرارات الطبقتين الإقطاعية والملكية، وابتدائها بين الطبقة الإقطاعية والطبقة البرجوازية فقد بادرت الطبقة البرجوازية، إلى قبول التحدي في باريس، ومنها سرت حملتها إلى الأقاليم في شتاء (1788– 1789)م.

وقد قامت حملة الطبقة البرجوازية على محورين؛ الأول: مهاجمة امتيازات الطبقتين الأوليين، والمطالبة بأن تحل الكفاءة محل النسب، والثاني: مهاجمة الأساس الذي ينعقد عليه مجلس طبقات الأمة والمطالبة بالتمثيل الضعفي (أي يكون عدد نوابها مساوياً لعدد نواب الطبقتين الأخرين معا) وفرض التصويت المشترك (أي اجتماع الطبقات الثلاث معاً) والأخذ بالتصويت الفردي لا حسب الطبقة، وقد أزعجت هذه المطالب الطبقة الإقطاعية وخصوصا أمراء البيت المالك، الذين قدموا مذكرة إلى الملك يوم 12 ديسمبر سنة 1788م؛ أوضحوا فيها أن "الدولة في خطر" وأن هناك ثورة تستعد للقيام ضد نظام الحكم[15].

أما الأوضاع الفكرية؛ فقد شهد القرن الثامن عشر طائفة من الكتاب الذين زعزعوا دعائم النظام القديم، ونقصد بها دعائم الحكم المطلق أي عدم المساواة في أمور المجتمع، وعدم المساواة والتسامح في الشئون الدينية، ونظام الحماية في ميدان الاقتصاد[16]، وظهر في فرنسا قدر كبير من التفكير الحر والخطابة الحرة والعاطفة الحرة، وقام في فرنسا في النصف الأول من القرن الثامن عشر، "مونتسكيو" "Montesquieu" (1689-1755)م بوضع النظم الاجتماعية والسياسية والدينية تحت الفحص والتحليل الجوهري وبخاصة في كتابه "روح القوانين"، وقد جرد الملكية المطلقة بفرنسا من هيبتها السحرية[17].

مونتسيكو فيلسوف فرنسي اشتهر بكتابه "روح القوانين" باريس 1748م، ونادى فيه بفكرة خضوع العالم الاجتماعي للقوانين، شأنه في ذلك شأن العالم الطبيعي، وفي هذا الكتاب أيضاً جمع تاريخ أنظمة الحكومات وحدد أنواعها ومبادئ كل منها وما تحويه من مزايا وعيوب، وضمنه نظريته الشهيرة في وجوب انفصال الحكومة التشريعية والتنفيذية والقضائية بعضها عن بعض لضمان الحرية والعدل، واشترك الملك في الإرستقراطية والعامة في حكم البلاد على مثال نظام الحكم الانجليزي الذي كان يعتبره أرقي نظم الحكم[18].

وقد شغل نفسه بالتيارات الاجتماعية، ومع ذلك فإنه على الرغم من أن معالجته للتاريخ كانت واقعية، فقد فأنه من حيث النواحي

الفيزيائية والاقتصادية والسياسية والدينية، خاصة وقد تجاهل الأخبار التاريخية وقد ركز همه على تأكيد التقاليد، فكانت نتيجة ذلك أنه قلل من شأن الدور الذي يلعبه العقل، ومن ثم راح " فولتير "Voltarie" يسخر منه، وبظهور الاتجاه الجديد من الماضي وهو الاتجاه الذي برز في عهد الثورة الفرنسية، استبعد عمل مونتسكيو وطرح به جانباً.

وكان فولتير يؤمن بالله، ولكنه يرفض كل فكرة تقول بأن التاريخ ينطوي على مناشطة تعالى على الشاكلة التي يتضمنها مصطلح "العناية الخاصة"، ومن المحقق أنه لم ينظر إلى التاريخ من وجهة نظر مبادئ علم طبيعة المسيح وشخصيته، أن هي إلا صيغ خرافية للدين الطبيعي، وللاعتقاد التأليهي وللتقوي، وقد منح الله الناس "مبدأ العقل الشامل"[19]، وفلولتير (1964-1778)م من كبار فلاسفة العالم، عرف بصراحة رأيه وشجاعته في ابداء ارائه فقد دخل البلاط الفرنسي وكشف عن الحياة الماجنة بداخله، ولم يرض عن تلك الأوضاع وأخذ ينقد تصرفات الحكام.

قد قاسي فولتير كثيرا ازاء شجاعته لذا صب جام غضبه على الظلم والطغيان في الحكم، وسخر قلمه لتحرير الإنسان والإخاء ونادى بإلغاء الامتيازات والطبقات بين الناس، فأثارت كتاباته حماس الجماهير في فرنسا وفي خارجها، وأصبحت بلدته "فرناي" عاصمة أوربا الأدبية وكان من أثر ذلك قيام الثورة وما تبعها من ثورات ضد الطغيان في سائر بلاد أوربا غرباً وشرقاً[20]، وذلك لأن فولتير كان قد عرف انجلترا معرفة

جيدة بعد إقامته فيها خلال منفاه الباكر، وقارنها بروما وبفرنسا ووجدها نموذج للحرية الدينية والسياسية، والعلم الإنجليزي أسمي من العلم الفرنسي، وامتدح الانجليز لأنهم مجدوا التعليم والثقافة أكثر من كل الشعوب الأخرى[21].

ساعد انتشار الفلسفة وتقدمها على هدم الأفكار الشعبية التي آمنت بها الشعوب زمناً طويلاً، فقد نادت الفلسفة بضرورة اخضاع جميع الأفكار للعقل الخاص وحده، وبهذا اختفت الخرافات والأفكار الشعبية المتوارثة من عقول أفراد الشعب بعد اختفائها من عقول الفلاسفة، وتكونت في أوروبا جمعيات وظيفتها محاربة الخرافات والأفكار الشعبية في الكنائس والمدارس والحكومات[22].

وتألفت جماعة من أذكياء الكتاب هم "الموسوعيون" ومعظمهم ذوو أرواح ثارة ممن تخرجوا في مدارس اليسوعيون الممتازة، ونهضت تحت قيادة "ديدروه" "Diderot" لوضع الخطط لعام جديد عام 1766م، بوساطة مجموعة من المؤلفات، ويقول "ماليه" "Mallet": "أن مجد الموسوعيين ينحصر في كراهيتهم لكل جور وظلم وفي تشهيرهم بتجارة الرقيق، وعدم التسوية بين الناس في الضرئب وفساد العدالة، والدمار الذي تجره الحروب، وفيما كانوا يحملون به من التقدم الاجتماعي، وما كان يخالجهم من عطف على دولة الصناعة الناهضة التي شرعت تحول العلم تحويلاً.

قامت إلى جانب الموسوعيين جماعة "الاقتصاديين" أو "الفيزيوقراطيين" الذي كانوا يقومون بأبحاث جريئة في شئون إنتاج الطعام والبضائع وتوزيعها، وقد شهر مؤلف "قانون الطبيعة" "Code De La Nature" بنظام الملكية الخاصة الأخلاقية، واقترح إنشاء تنظيم شيوعي للمجتمع، وكان هو البشير المؤذن بظهور تلك المدرسة الكبيرة المنوعة، مدرسة المفكرين الجامعيين أو الحشديين في القرن التاسع عشر، وهم الذين يجمعهم الناس تحت اسم الإشتراكيين.

وكان كل من الموسوعيين ومختلف فرق الاقتصاديين من تلاميذهم قدراً من التفكير الشديد العميق، وثمة زعيم أقرب إلى قلوب الناس هو "جان جاك روسو" "Jean Jacques Rouesseau" (1712 -1778)م، وهو روح منبوذة، لما قام به من هجوم عاطفي على الأخلاق الشكلية واتخاذه العاطفي للطبيعة والحرية البشرية مثلاً أعلى[23]، وفي معارضة من روسو للمبدأ القائل بفساد الطبيعة البشرية، كما تعلمه النظرية المسيحية السائدة حول التاريخ، أخذ ينازع بأن الإنسان يولد حراً طيباً بطبعه، وأن التنظيم الاجتماعي قد وضع الأغلال في يديه، وأن قدرة الإنسان على حرية الاختيار وقدرته على حيوانات، فإن هو كان عليه أن يحتفظ بمكانته الحقة كإنسان، فلابد له من الاحتفاظ بتلك الحرية[24].

وكان لروسو أثر كبير في قيام الثورة الفرنسية ولم يحاول تعديل نظام الحكم الإستبدادى في فرنسا فحسب، بل حدد واجبات الحكومات في كل مكان فقد بين في كتابه الشهيرل "العقد الاجتماعي" أن الإنسان خلق حراً ومساوياً لغيره في الحقوق، ولضمان هذه الحرية والمساواة نظم الأفراد أنفسهم، وأقاموا الحكومات لتعمل بإرادتهم لأنها تستمد السلطة منهم، فإذا أساءت إحداها استعمار هذه السلطة، أو اخلت بتلك الحقوق وجب عزلها، وإقامة حكومة أخرى مكانها، وكان لهذا الكتاب تأثير خطير في نفوس الفرنسيين حتى لقب بحق "انجيل الثورة" وذلك لما امتاز به من قوة العاطفة وسلامة العبارة[25]، كما دعا في هذا الكتاب أيضاً إلى دين جديد من الوطنية، فبدلاً من المسيحية التي تعادى الروح الاجتماعية، ينبغي بث روح دينية مدنية تطبع في نفوس الأفراد الولاء للدولة وواجبات المواطنة، ورغم رغبته في السلام والتسامح بين الأمم، إلا أنه مهد لعصر القومية الذي بدء بالثورة الفرنسية[26].

بهذه الفلسفات التي أثرت على الحالة العقلية للشعب الفرنسي مع استمرار استبداد الحكومة الفرنسية، سواء بالنسبة للامتيازات التي كانت للإشراف والنبلاء ورجال الدين، أو أكثر الضرائب التي كانت تفرض على كل كاهل العامة الفقيرة، أدى إلى ضرورة قيام الثورة الفرنسية.

مما سبق يتضح أن الأزمة الاقتصادية التي اشتدت في صيف 1788م، كانت من أسباب الثورة، وبالنظر إلى خطورة الوضع المالي

والاقتصادي حاول رؤساء الحكومة الفرنسية "ترجو ونكر وكالون وبربين" إصلاح الأوضاع ولكن دون جدوي، وكان أن اقتراح كالون طرح المشكلة على الأمة الفرنسية من خلال مجلس طبقات الأمة الذي يمثل جميع فئات الشعب، وكإجراء تنفيذي تمت الموافقة على تحويل مجلس الطبقات إلى جمعية وطنية في 17 يونيو 1789م، لكي تضع دستوراً جديداً لفرنسا يصون حقوق المواطنين ويضمن حرياتهم، وذلك بالرغم من معارضة الملك، وبذلك تحول المجلس من هدفه الرئيسي الذي دعي من أجله وهو معالجة الأزمة الاقتصادية والمالية، وصار جمعية تشريعية تهدف إلى وضع دستور جديد للبلاد.

إزاء هذا الضوع الجديد شعر الملك والحكومة أن الوضع في العاصمة بدأ يأخذ شكلاً جديداً وخطيراً، وأن رياح الثورة أخذت تنتشر من باريس في كل الإتجاهات، واتخذت الإجراءات اللازمة لحفظ الأمن، وانتشرت الشائعات عن رغبة الملك في حل الجمعية الوطنية، مما أدى إلى قيام الجماهير باحراق مراكز جمع الضرائب، واستولوا على محلات بيع الأسلحة، وسيطروا على مبني البلدية في باريس، واتخذوا مركز الإدارةالمقاومة ضد الملكية[27].

مجلس طبقات الأمة والجمعية الوطنية

في 8 أغسطس 1788م؛ في جو مملوء بالمخاوف والشكوك والآمال، دعا الملك مجلس طبقات الأمة للإنعقاد في العام التالي، وارجع

نكر ساحر المال إلى منصبه القديم الذي يهيمن فيه على مالية فرنسا، ولم يصدر قط إصلاح جليل من ذلك المجلس الذي أهملت دعوته للاجتماع طويلاً، والذي كان يجتمع فيه رجال الدين والإشراف وممثلوا الطبقة الثالثة "طبقة العامة" ويتداولون ويقترعون كل على حدة، ولم تضع الحكومة قبل إنعقاد ذلك المجلس خطة للإصلاح الدستوري[28].

وفي 5 مايو 1789م افتتح المحل في قصر فرساي بحضور مندوبي الأشراف والكنيسة والعامة، وأعلن الملك أن الهدف من اجتماع المجلس هو معالجة الأزمة المالية فقط، ولم يشر إلى مسألة الدستور الذي كانت تطالب به الطبقات الثلاث ليجد من سلطات الملك ويوطد دعائم التمثيل القومي، فتوترت العلاقة بين الحكومة وأنصارها من ناحية وبين ممثلي الشعب من ناحية أخرى، كما حدث خلاف حول كيفية أخذ إلاصوات، وهل تعتبر كل طبقة صوتاً واحداً، أم توخذ الأصوات بالأغلبية، حتى تضيع قيمة الأغلبية العددية التي أعطيت للعامة، وتمسك كل فريق برأيه، وهنا ظهرت الجمعية الوطنية.

✶ الجمعية الوطنية

لما احتدمت الأمة حول طريقة أخذ الأصوات، اقترح "سييس" "Sieyes" أخذ نواب العامة في 16 يونيو 1789م أن بوصفهم نواب الشعب في وضع دستور للبلاد، سواء اشترك معهم بقية المندوبين أم لا، فاتخذ الأشراف من تصرف نواب العامة ذريعة يقنعوا به الملك للإنضمام

إلى صفهم، فأمر بإغلاق قاعة الإجتماعات بحجة أعدادها لجلسة قادمة[29]، كان عدد رجال الدين 308 والبنلاء 8 والنواب 622 [30]، وكانت الحكمة تشير باجتماع القوات بعيداً عن باريس، وكانوا يفضلون فرساي، الملك من أجل الصيد، والملكة وحاشيتها من أجل التسلية، وارتكب البلاط أخطاء أخرى باصراره على الإتيكت الذي كان يهيمن الطبقة الثالثة، ففرضوا كسوة خاصة لممثلي كل طبقة، وقدموا في 2 مايو إلى الملك، كل طبقة وحدها ومروا في جماعات منفصلة بمناسبة موكب "روح القديس"، وكان ممثوا الطبقة الثالثة يرتدون كساوي سوداء، وفق لهم الشعب معبراً عن ثقته بهم، أما النبلاء فكانت ملابسهم الزاهية بعد الموسيقي الملكية.

وفي أثناء الجلسات التي رأسها الملك، ادعي ممثلوا الطبقة الثالثة أن من حقهم الاحتفاظ بغطاء رؤوسهم مثل ذوي الميزات، وأشار "بايي" "Bailly" إلى أن الوفود التي كان يقودها إلى الملك لم يركع أمامه، وجاءت الجلسة التي أغلق فيها الملك قاعة الإجتماعات في وجه ممثلي الطبقة الثالثة دون أن يهتموا بإبلاغهم بذلك، فالتجأوا إلى ملعب التنس المجاور للقصر[31]، وأقسموا أن يظلوا متحدين حتى يتم وضع دستور، وكان هذا يمثل ثورة نواب الطبقة الثالثة على رغبة الملك، وحين استند الملك إلى قواته العسكرية، أكد النواب حصانتهم النيابية وأعلن "ميرابو" "Mirabeau" كلمته المشهورة: " لن نترك أماكننا إلا بقوة الحراب"[32].

كان ميرابو من أنشط العاملين على إذكاء ثورة الشعب، وبث روح الخروج والثورة في نواب الطبقات وزعماء الجماهير، بل كان أول من رفع لواء العصيان، وأشد من حرض على تأليف الجمعية الوطنية التي كان قيامها فاتحة النضال الحقيقي بين الشعب والملكية، ومن الصعب أن نستشف من الموقف الذي وقفه ميرابو عندئذ حقيقة الدور الذي أثاره من وحي الجمعيات السرية في ثنايا المعركة التي أخذ يضطرم لظاها بين دعاة الثورة والهدم وبين النظم القديمة[33]، ومنذ ذلك اليوم انضمت أغلبية رجال الدين و47 من النبلاء إلى ممثلي الطبقة الثالثة، وبدأت بذلك الثورة البرجوازية، واختاروا لجنة الوضع الدستور، وتحول المجلس الوطني إلى مجلس تأسيس وتقدم "لافايت" بمشروع لإعلان حقوق الإنسان[34]، مقتبساً من آراء روسو وآراء المفكرين الأمريكيين، وأهم ماجاء فيه: أن الناس سواء في الحقوق والواجبات، وأن القانون هو المعبر عن إرادة الشعب، وأن لكل فرد حق حرية الفكر وحرية الدين ما دام تمتعه بذلك لا يتعارض والصالح العام[35].

وهنا اتخذ الملك مظهر القوة وحاول أن يفرق الطبقة الثالثة، ولكن الجنود رفضوا أن يطيعوا، وخضع الملك بشكل فجائي، وقبل المبدأ القاتل بأن الطبقات الثلاث يجب أن تتنافس كلها وتعطي صوتها بصفتها جمعية وطنية واحدة، وفي نفس الوقت نقلت إلى فرساي بتحريض ظاهر من الملكة، فرق أجنبية تعمل في خدمة الجيش الفرنسي، ويمكن الاعتماد عليها في العمل ضد الشعب[36]، وهنا أدرك البرجوازيون أن

الخطر يهددهم؛ فعقدوا اجتماعهم في اليوم نفسه في ملعب التنس، وشرعوا فور اجتماعهم يحلفون يميناً وضع صيغته "مونييه" بأنهم سوف يستمرون في الإجتماع في أي مكان تختاره الظروف، ووقعوا على تعهد أو ميثاق عرف باسم "ميثاق ملعب التنس" وكان من بين الموقعين تسعة من القساوسة، وفي اليوم التالي اجتمعوا في كنيسة "سانت لوي" "Saint Louis" حيث انضم إليهم 144 من القساوسة و4 من كبار رجال الدين واثنان من النبلاء[37].

استهوت لويس سياسة القوة والبطش بعد قدوم الجند الأجانب بقيادة "بروجلي" فكان رد ديمقراطية باريس على تهديد الرجعية هذه، هو الرد التاريخي الذي مازالت تختلف به فرنسا عيداً قومياً في 14 يوليو من كل عام؛ حيث تم الهجوم على حصن الباستيل في ذلك اليوم من عام 1789م، وسقوطه كخاتمه للطغيان المستتر والسجن الظالم المستبد، وكبشير لبزوغ فجر الحرية[38].

ما كاد سكان الأقاليم يسمعون بسقوط الباستيل حتى هاجموا قصور الأشراف التي كانت تمثل الباستيل في الأقاليم، ودمروا ما بها من سجلات تثبت حقوق الأشراف إزاء العامة حتى عمت الفوضي كل مكان، أيضاً سادت الفوضي الإدارة والجيش – وما هو أدهي وأخطر على مستقبل فرنسا في البحار– سادت الأسطول الذي كان قد أبلي بلاءً حسناً أثناء حرب الإستقلال الأمريكية، وفي الرابع من أغسطس 1797م وقف

أحد الأشراف في الجمعية الوطنية، واقترح النزول عن امتيازات الأملاك، فنزل الأشراف عن امتيازاتهم، ونزلت الكنيسة عن زكاتها، ولكن الملك فزع من تمادى الشعب في ضغيانه، فدعا فرقة "الفلاندرز" الموالية له لتكون بمثابة حرس يدافع عن فرنسا، ورفض التصديق على قانون إجازته الجمعية الوطنية، وأشبع أنه يفكر في الفرار، وأن الحرس الملكي داس بأقدامه الشارة المثلثة الألوان، التي اختيرت كعلم جديد للأمة.

وفي تلك الأثناء اشتدت المجاعة بباريس، فحض المهيجون النساء على الإجتماع والمطالبة بالخبز، وبرجوع الملك إلى باريس اعتقاداً منهم بأن ذلك سوف يكثر القوات بالمدينة، فسار عدد كبير من النساء إلى فرساي، وخلفهن المئات من الرجال المسلحين واقتحمن قاعات المجلس مطالبات بالخبز، ثم هاجموا القصر، ولكن الحرس حال دون وصولهم إلى هدفهن، ولكن في غفلة تمكنت الجموع من دخول القصر، وكان "لافايت" قد وصل إلى فرساي على رأس الحرس الأهلي، وطلب من الملك باسم البلدية العودة إلى باريس، وحال دون الجموع والملك، وقبل الملك العودة إلى باريس، وكان دخول الملك قصر "التويلري" "Tuileries"، أول خطوة في سبيل قدره الأخير.

كان المجلس قد طلب من "لويس السادس عشر" أن يقبل مرسومات شهر أغسطس حينما حضرت النساء، وطالب أحد الزعماء بضرورة تموين باريس، وبضرورة إبعاد فرقة الفلاندرز عنها، وقد اعتقد

الملك أنهم سيطلبون منه الموافقة عمل المرسومات، واعتقد أنه بموافقته عليها سينهي الأزمة، ولكن لافيات وصل مع مندوبي الكوميون، وطلب هؤلاء المندوبون من الملك الحضور من فرنسا للإقامة في العاصمة، وكانت موافقة الملك على المرسومات تمثل ميزة بالنسبة للمجلس الوطني، وفي يوم 6 أكتوبر دخل المتظاهرين إلى ساحة القصر، وحاول رجال الحرس الشخصي أن يمنعهوهم، فانتهى الأمر إلى وقوع اتشباك وقتل أحد العمال، ثم بعض أعداء من الحرس، وقد وصلت الجماهير إلى جناح الملكة، التي هربت إلى جناح الملك.

ثم جاء الحرس الوطني ليخلي القصر، وظهر لافيت بدوره، وخرج إلى الشرفة مع أفراد الأسرة الملكية، وهتفت الجماهير معلنة ضرورة العودة إلى باريس العاصمة، وقد تم ذلك بالفعل، وتم التحرك صوب باريس تحت حماية رجال الحرس الوطني، وكان البعض يحملون الخبز على أسنة حراب بنادقهم، واشتملت المسيرة على عربات قمح مزدانة بأغصأن الأشجار، وكان رجال السوق والنساء يركبون على المدافع، واشتملت المسيرة على الحرس الوطني الشخصي، وعلى فرقة الفلاندرز وفرقة السويسريين وعلى عربة الملك وأسرته، وكان لافيت يسير على ظهر جواده. انتقلت الجمعية الوطنية إلى باريس عقب مغادرة فرساي، واعتمدت على حماية الشعب من تدخل الحكومة في أعمالها، ولكنها أُصيبت بتدخل الشعب في تصرفاته، وكانت قد بدأت في وضع الدستور في فرساي في 3 سبتمبر 1791م، وذلك تدخل الشعب في أعمالها أثر

تأثيراً سيئاً في وضع الدستور، وأهم قرارات الجمعية في هذا الشأن ما يلي

1-حقوق الإنسان: تضمنت أن الناس ولدوا أحراراً متساويين في الحقوق والعمل على ضمان الحرية والأملاك الشخصية، وصيانة الحقوق وحماية الأرواح ومنع المظالم، وأن من حق الأمة مشاركة الحكومة في وضع القوانين، واعتبرت لائحة حقوق الإنسان مقدمة للدستور الذي اجتمعت من أجله الجمعية الوطنية.

2-إلغاء كافة الامتيازات والحقوق والواجبات المترتبة عليها، ويتم توزيع الضرائب على أفراد الشعب بالتساوي ودون تمييز طبقي.

3-إعادة تقسيم فرنسا من جديد إلى 83 قسماً؛ على كل منها اسم معلم بارز من معالمها- كنهر أو جبل- وأصبح لكل قسم مجلس منتخب بالتصويت العام، للإشراف على شئون المنطقة الداخلية، وكانت مجالس الإدارات المحلية هذه مزودة بصلاحيات واسعة مثل: توزيع الضرائب وجبايتها والمحافظة على النظام.

4-وضع السلطة التشريعية في يد مجلس نيابي واحد ينتخب لمدة سنتين، واشترط في عضو مجلس النواب دفع قدر معين من الضرائب، والأ يقل سن العضو عن خمسة

وعشرين عاماً، وألا يعاد انتخاب العضو مرتين متتاليتين، ويحرم على العضو دخول الوزارة، ويخول الملك سلطة الـ (VETO)؛ أي حق الرفض أو إلغاء قرارات المجلس، إلا إذا اعيدت هذه القرارات على ثلاثة مجالس متتالية[39]، وفي سبتمبر 1791م انتهت الجمعية الوطنية من وضع الدستور الجديد، والذي أبقي على النظام الملكي مع تحديد سلطات الملك واعتبر الدستور الأمة هي المصدر الأساسي للسلطة[40].

✶ الجمعية التشريعية :انحلت الجمعية عقب اتمام وضع الدستور، وعقدت الجمعية التشريعية الجديدة أولي جلساتها في أكتوبر 1791م، وكان أمامها مهمات رئيسية ثلاث وهي:

1-ضرورة تنفيذ جميع مواد الدستور الجديد.

2-صياغة المكاسب التي أنجزتها الثورة الفرنسية بمقتضي القوانين التي صدرت عن الجمعية الوطنية.

3-حماية الدولة من المخاطر الخارجية خاصة من قبل الدول المجاورة؛ فمنذ عام 1790م شعرت أوربا بالخوف والقلق من مبادئ الثورة الفرنسية، ومن سرعة انتشار هذه المبادئ في المناطق المتاخمة لفرنسا، مما أثار الأوساط المحافظة وخاصة في النمسا وبروسيا، وقد أدى ذلك

بالفعل إلى حرب بين فرنسا من ناحية والنمسا وبروسيا من ناحية أخرى[41].

وإذا كان النزاع في الجمعية الوطنية قائماً على مسائل دستورية، فإن نزاع الجمعية التشريعية أصبح قائماً على الإستئثار بالسلطة، وانقسمت الجمعية من بدء الأمر إلى ثلاثة أحزاب هي :-

1-اليسار الذي كان يجمع أنصار اليعاقبة المتطرفين منهم والمعتدلين، وأشهرهم جماعة "الجيروند" "Gironde" نسبة إلى الإقليم الذي انتخبوا عنه وبلغ عددهم 136 عضواً، وكانوا يعيبون على الدستور اعتداله معتمدين على قوة بلاغتهم اللفظية، ومن هنا كان تأثيرهم الكبير على النوادى والجمعيات الشعبية.

2-حزب اليمين: يتألف من أنصار جماعة الفويان "Feuillants" وكانوا يؤيدون الدستور، وبلغ عددهم 264 عضواً، وكانوا أعداء للنظام القديم وأعداء للديمقراطية، وكانوا يؤيدون النظام الملكي المقيد.

3-حزب الوسط: يشمل أفراد بلغ عددهم 345 عضواً، عرف عنهم الحذر والتردد، ولم يكن لهم رأي معروف ولا خطة ثابتة، وكانوا يؤيدون اليسار تارة واليمين تارة أخرى، ولم يكن لهم رأي واضح، وليس من بينهم رجال مشاهير[42]، وقد انتخب "كوندرسيه" سكرتيراً للجمعية التشريعية، ثم نائباً للرئيس وأخيراً رئيساً، ومن

النتائج الطبيعية لفلسفة كوندرسيه التحريرية، العمل على إزالة الامتياز الخاص بديانة الدولة، ورفض خطط الغزو والفتح واحترام استقلال الشعوب الأخرى، كما عمل علي إصلاح التعليم في فرنسا على أساس المساواة والديمقراطية في المعرفة[43].

وخلال هذه الفترة المضطربة ظهرت شخصية "دانتون" الذي دفع فرنسا بقوة في طريق التطرف والإرهاب، والذى قاد التظاهرات في أغسطس 1792م، والتي هاجمت القصر الملكي واعتقلت الملك وأسرته مطالبة بإقامة الجمهورية، وكان من رأي الجمعية التشريعية أن يتم إيقاف الملك عن ممارسة سلطاته، وأن تترك مسألة تقرير مصير النظام الملكي لمؤتمر وطني يتم انتخابه لهذا الغرض، وهكذا حلت الجمعية التشريعية وانتخب مكانها المؤتمر الوطني لإدارة أمور البلاد، وتقرير مصير النظام الملكي[44]، كما حدث اضطراب ديني في فرنسا أدى إلى الإبتعاد عن المسيحية، وكان ذلك منذ عام 1789م، وتم مصادرة أملاك الكنيسة لسداد الديون[45].

وقويت شوكة اليعاقبة بسرعة، وشرع زعمائهم "روبسبير ودانتون ومارا" الذين كانوا يلوحون أن يتسلطوا على الشئون الفرنسية، وكان هؤلاء اليعاقبة نظير الراديكاليين الأمريكيين، وهم رجال ذوو أفكار تقدميه، وكانوا رجالاً فقراء ليس لديهم ما يخشون فقدانه، لذا كانت قوتهم، وكان حزب الإعتدال والتفاهم مع بقايا النظام القديم يقوده رجال

من ذوي المكانة الوطيدة أمثال الجنرال لافايت وميرابو[46]، والواقع أن ميرابو ودانتون وكامبل ديمولان ولافايت؛ من أعظم قادة الثورة الفرنسية، بل أن ديمولان أول من دفع الشعب إلى حمل السلاح والوثوب بالباستيل، بل أن خطة الثورة كلها قد وجدت مدونة في وثيقة، وجدت بين أوراق ميرابو على ما جاء في نشرة ظهرت في عام 1791م؛ عنوانها "خفايا المؤامرة" "Mysteries de la Conscription"، وناشر هذه الرسالة يقرر أن الوثيقة المذكورة وعنوانها ملخص أو مشروع ثورة الميودي ميرابو "Croquis ou Projet dr Revolution de M. de Mirabeau" قد ضبطت في منزل "مدام لجاي" زوج ناشر كتب "ميراكو" وذلك في 6 أكتوبر سنة 1789م، وتفتح هذه الوثيقة بحملة مرة على الملكية الفرنسية[47].

أما عن هروب الملك فيعتبر إحدى الوقائع الأساسية بالنسبة لتاريخ أوربا وتاريخ الثورة، فقد تسببت محاولة هروب الملك في سرعة وقوع الصدام وقد تمكن الملك من الخروج من قصر التوبليري يوم 20 يونيو 1791م، ونقلته عربة فخمة هو وأسرته صوب شالون، تمهيداً لوصوله إلى مونيدي، وتأخرت العربة لمدة خمس ساعات، وكانت الجماهير متيقظة، وحينما وصل الملك إلى تلال فارين ليلاً لم يجد العربة والجياد الجديدة اللازمة لمواصلة السفر، وتوقف هناك فكانت الكارثة. ولم يحاول الملك أن تختبئ، فأوقفه رئيس وجنود النقطة وتمت اعادته إلى قصر التوبليري في حراسة مشددة وسط الجماهير المهددة، ولم يكن

أحد يشك في أن هروب الملك كان يعني غزو فرنسا، فتحصنت القلاع والمراكز العسكرية على طول الحدود، وأعلنت حالة الطوارئ وتم إرسال 169 كتيبة من الحرس الوطني صوب الحدود، خاصة وأنه منذ سقوط الباستيل وقد هاجرت أفواج كثيرة من أنصار الملك والأشراف غير الراغبين في الثورة، والحانقين عليها والذين أثاروا المجتمع الأوربي ضد الثورة في الخارج، ثم نقل الملك من قصر التوبليري إلى باريس، ومن تلك اللحظة قضي على الملكية بالهلاك، إذ ظهر الملك كالخصم العلني للدستور.

هوامش الفصل

1- هـ.أ.ل. فشر: تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789-1950)م، ترجمة؛ أحمد نجيب هاشم، وديع الضبع، دار المعارف بمصر، ط9، 1993، ص 6. د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق،ص 148 ،149.

2- جورج ليفيير: المرجع السابق، : عصر الثورة، تعريب؛ د. جلال يحيي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص 119 ،120. وأنظر أيضاً؛ د. جلال يحيي: معالم التاريخ الحديث: المرجع السابق، ص 225 ، 226.

3- فشر : المرجع السابق، ص 8 ،9.

4- ولز: المرجع السابق،: المرجع السابق، ص 1189 ،1190.

5- د. جلال يحيي: المرجع السابق، ص 225 -227. ماري أنطوانيت ابنة ماريا تريزا إمبراطورية النمسا، كانت في نظر الجماهير رمزاً بغيظا لتحالف كريه ممقوت، ومركز مقاومة لسياسة التوفير والتجديد التي يطالبون بتنفيذها، أنظر في ذلك فشر: المرجع السابق، ص 8. أما لويس السادس عشر فكان ملكاً غيباً سئ التعليم، ولسوء حظه أن تزوج من إمراة حمقاء مبذرة هي ماري أنطوانيت، أنظر ولز: المرجع السابق،: المرجع السابق، ص 1189.

6- د. القرحي: المرجع السابق، ص 95.

7- د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص 212 ، 213.

8- تيرنر ، أوزمنت: المرجع السابق ، ص 188 ،189 ،193.

9- د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص 215 ،216. ، القس دي ، روزا : المرجع السابق، ص 96 .

10- د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، : المرجع السابق، ج 1، ص 229.

11- جورج ليفيير: المرجع السابق، ص 59 -60.

12- د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص 217 ،218.

13- جورج ليفير: المرجع السابق، ص63 -65.

14- د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص 222 ،223.
15- د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق،: المرجع السابق، ص 329 ،330.
16- د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، : المرجع السابق، ص 151.
17- ولز: المرجع السابق،: المرجع السابق، ص 1186.
18- د.عاطف وصفي : كوندرسيه، دار المعارف، ط 2، 1987، ص20 ،20.
وأنظر أيضاً؛ أ.ج . جرانت، هارولد تمبرلي: أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1879-1950)م، ترجمة؛ بهاء فهمي وآخرون، ج1،القاهرة، 1982، ص53 ،54.
19- ألبان، ج .ويدجري: : المرجع السابق، ج2، ص، 31 ،32.
20- د.عاطف وصفي:المرجع السابق، ص 20 ،21. جرأنت ، تمبرلي: المرجع السابق، ص 53.
21- باومر: المرجع السابق، ص 26.
22- عاطف وصفي: المرجع السابق، ص 89.
23- الجماعيون "Callectivists" هم أنصار المذهب الجماعي المطابق للإشتراكية، لولا أنهم لا يدخلون الثورة في خططهم، ومذهبهم يقوم على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج والتبادل تحت هيمنة الحكومة. للمزيد أنظر؛
ولز: المرجع السابق،: المرجع السابق، ص 1100، 1186، 1187.
24- رويدجري: المرجع السابق، ص 35.
25- د.عاطف وصفي: المرجع السابق، ص 21.
26- باومر: المرجع السابق، ص 112.
27- د.القرحي: المرجع السابق، ص 97.
28- فشر: المرجع السابق، ص9 ،10.
29- د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 156 ،157.
30- ولز: المرجع السابق، ص 1190.

31- جورج ليفيير: المرجع السابق، : المرجع السابق، ص134 ، 135 ،139.

32- د.جلال يحيي : المرجع السابق، ص232.

33- محمد عبد الله عنان: تاريخ الجمعيات السرية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة 1991، ص 144.

34- د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص232.

35- محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص132.

36- ولز: المرجع السابق، ص1191.

37- د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 337.

38- فشر : المرجع السابق، ص12

39- د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 159 ،161. ليفيير: المرجع السابق، ص164 ،165. فشر: المرجع السابق، ص 13، 15، د. صلاح أحمد هريدى : تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، اسكندرية ، 2001 ، ص 3، .4

40-Edward Creasy : Op .Cit. 545.

41- د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص14.

42- د. عاطف وصفي: المرجع السابق، ص 14.

43- جورج جاك دانتون (1759-1794)م ممثل الاتجاهات الفوضوية في الثورة الفرنسية، وهو محام كإداري قدير لباريس 1791م، أُعدم في 6 أبريل 1794م. للمزيد راجع؛ د.ميلاد القرحي: المرجع السابق، ص 102. جرانت ، تمبرلي: المرجع السابق، ص 103 ، 104.

44- تيرنر، أوزمنت: المرجع السابق، ص 188 -.189

45-عمل "لافايت" متطوعاً في صفوف المستوطنين الأمريكيين، أما "ميرابو" فهو أرستقراطي كان على استعداد أن يصوغ نفسه على غرار إرستقراطية

الانجليز الأغنياء الواسعي النفوذ، أما "روبسبير" فقد كان محامياً شاباً فقيراً ذكياً من رأس، راجع ولز: المرجع السابق، ص 1205.

46- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 144.

47-جورج ليفيير: المرجع السابق، ص 242- 247، 258، د. جلال يحيي: المرجع السابق، ص 248 -253، فشر: المرجع السابق، ص 14، 22. د. ميلاد القرحي: المرجع السابق، ص 102 ، 103. جرانت، تمبرلي: المرجع السابق، ص 105 -108. محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص .134

48-د. عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص .167

49-د. عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 374.

50- د. عاطف وصفي المرجع السابق، ص 15 -.17

51- د. عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 176، .168

52- د. القرحي: المرجع السابق، ص .103

53- نفسه، ص 103، .104

54- ليفيير: المرجع السابق، ص 276 ، .286

55- د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص169 ،.172

56- د. القرحي: المرجع السابق، ص 105، 106، للمزيد عن حملة نابليون على مصر. راجع، جورج ليفيير: المرجع السابق، ص 482 - 485.

57- فشر: المرجع السابق، ص 32 ، 53 ، .54

58-د. القرحي: المرجع السابق، ص 106 ، .108

59-للمزيد عن الحرب بين روسيا وتركيا أنظر : Edward Creasy Op.Cit.,pp,337.466

60-فشر: المرجع السابق، ص 74، .75

61-د0عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص177، .178

62-فشر: المرجع السابق، ص77 -.79

63-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 178. ولز: المرجع السابق، 1248.

64-Alfred Cobban: A History Of Modern France 1715 - 1799,Vol,1,New york,1977,pp.38-40

65-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص .178

66-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 429 ،.430

67-Cobban: Op.Cit.pp.40.50.

68-د.عبدالرحيم رمضان: المرجع السابق، ص 340.

69-Cobban: Op.Cit,.Pp.53-55.

70- د.عبدالرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 178 -180. د.صلاح أحمد هريدي: المرجع السابق، ص 35 ،.36

71-د. عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 181 ، 182، د.نعني:المرجع السابق، ص 118 -120. فشر: المرجع السابق، ص 85 -.91

72- د. القرحي: المرجع السابق، ص 112 -.114

73- د.صلاح أحمد هريدي: المرجع السابق، ص .37

74-د.القرحي: المرجع السابق، ص113 ، .114

75-د.صلاح أحمد هريدي: المرجع السابق، ص .40

76-د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص183، 184، وللمزيد أنظر؛ ولز: المرجع السابق، ص 1257 -.1261

77-د.جلال يحيي: المرجع السابق، ص 300 -.302

78-د0 عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ج2 ، ص 15-.17

79-د.عبد المجيد البطريق: التيارات السياسية المعاصرة (1815 - 1960)، بيروت، 1974، ص 19 -23. د. عبد العزيز سليمان نوار ، د. عبد المجيد نعني : التاريخ المعاصر ، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، بيروت ،1989 ، ص 140 ، .141

80-فشر: المرجع السابق، ص .112

81-د.البطريق: المرجع السابق، ص 22 ، .23

82-د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص .18

83- د. عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، 185 ، 186، د. البطريق: المرجع السابق، ص 21 -24، د.عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 21 ، 22، د.القرحي: المرجع السابق، ص 122 ، 123، د. صلاح أحمد هريدي: المرجع السابق، ص 48 -.50

84-د. عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 22 -.26

85-د. صلاح أحمد هريدي: المرجع السابق، ص 50 ، .51

86-فشر: المرجع السابق، ص 114 -.115

87-نفسه، ص .121

88-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 161، 163.

89-ويلز: المرجع السابق، ص 1266، .1267

90-محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون المرجع السابق، ، ص 163 ، 164

91- ويلز: المرجع السابق، ص .1266

92- محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص .164

93- نفسه ،ص 164 -.166

94-فشر ،ص 118، .119

95- د.عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص188 ، .189

96- محمد عبد الله عنأن ، ص 152، .153

97- محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: المرجع السابق، ص 167 ، 168.

98- د. عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 189 ، 190.

الفصل السادس

الحياة النيابية في بريطانيا

عُرفت بريطانيا بالبلد الأم للنظام البرلمانى، إذ لم تكن بريطانيا هى مهد النظام البرلمانى فحسب، بل كانت الموطن الذى ترعرع فيه وتطور واكتسب أركانه وخصائصه، وعنها نُقِل هذا النظام إلى باقى دول العالم، مما جعل نُظم الحكم الشائعة فى العالم ما هى إلا وليدة النظام البرلمانى البريطانى، ومن الملاحظ أن النظام البرلمانى البريطانى لم يظهر بفعل نظرية سياسية، أو نتيجة لبحث تطبيقى ابتدعه أحد الفلاسفة أو المفكرين، لكنه نظام نشأ نتيجة لظروف إجتماعية وسياسية وتطور تاريخى لطبيعة الظروف والأحداث التى مرت بها بريطانيا، بل نشأ كرد فعل طبيعى ضد ديكتاتورية الملوك، فى ظل إدارة واعية من قِبل الشعب، ذلك الشعب الذى يحتاج إلى نظام ديموقراطى تُحترم فيه حقوقه وحرياته.

كانت بريطانيا هى مهد النظام النيابى، وهذا النظام الذى ينيب فيه الشعب عدداً محدداً من أفراده يُعرفوا بالنواب، ويمارس هؤلاء النواب السيادة بدلاً من الشعب، ويتولون الحكم نيابة عنه ، وتستمد روح النظام النيابى فى بريطانيا من الرضى بحكم الأغلبية وإعطاء الأقلية حريتهم فى المنافسة السياسية وابداء الرأى، حتى يصبح التشريع تشريعاً قوميّاً لا حزبياً، فيكون الحكم برضى الجميع بما يعنى أن الأمة هى مصدر

السلطات، وهذا لا يتنافى مع قيام الملكية، ما دامت سلطة الملك التنفيذية والتشريعية محدودة، وتعود الجذور التاريخية للنظام النيابى فى بريطانيا إلى القرن الثالث عشر الميلادى، حيث صدرت الماجناكارتا فى 1215م، ولهذا النظام أركان وأسس من أهمها :(استقلال البرلمان.يقوم الشعب بانتخاب أعضاء البرلمان.تحديد وقت دورى للانتخابات البرلمانية. أعضاء البرلمان يمثلون الأمة كلها، ولهم حصانتهم البرلمانية.

يُعد النظام البرلمانى هو أرقى ما وصل إليه الإنسان فى حكم البلاد، ففى الوقت الذى فيه الملك يملك ولا يحكم، تكون هناك رقابة متبادلة بين البرلمان والحكومة، وبذلك يجمع هذا النظام بين المسئولية والفاعلية، حيث يكون للحكومة الحق فى أن تحل البرلمان، ومن حق البرلمان أن يسحب الثقة من الحكومة، وعليه كانت بريطانيا هى الأرض الخصبة التى نشأ فيها هذا النظام، وذلك عندما تقررت المسئولية التضامنية للوزارة فى عام 1782م، تلك المسئولية التى تعتبر هى الركن الأساسى فى قيام النظام البرلمانى وحجر الزاوية فيه. لقد بدأ ظهور النظام البرلمانى فى بريطانيا نتيجة التقاء اثنين من التطورات التاريخية فى بريطانيا، أولهما: ذلك الذى أدى إلى زيادة نفوذ وسلطة البرلمان الممثل من الشعب، وثانيهما: هو الذى أدى إلى إضعاف سلطة الملوك تدريجياً، فكان لابد من وجود سلطتين متساويتين هى السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، وهذه هى نقطة بداية النظام البرلمانى، وكانت هنالك عوامل ساعدت أولاً على ظهور هذا النظام، ثم على نجاحه فيما بعد، –

وهذه العوامل خاصة ببريطانيا وحدها، لذلك لا يجوز مقارنة هذه العوامل فى بريطانيا بمثيلاتها فى باقى دول العالم –، ومن أهم هذه العوامل ما يلى:

موقع بريطانيا الجغرافى: والذى كان له كبير الأثر فى عدم تعرض بريطانيا للغزو منذ عام 1066م فى أعقاب الغزو النورماندى، وهو ما أدى إلى ما يلى: (بُعد بريطانيا عن الثورات العنيفة التى مرت بها القارة الأوربية. تعميق إحساس الشعب البريطانى بقوميته. حث الشعب البريطانى للبحث عن نظام سياسى يعطيهم حريتهم، وتُحترم فيه حقوقهم. عدم اشتراك بريطانيا فى نظام المحالفات الأوربية، فيما عُرف بـ "سياسة العزلة المجيدة".

مناخ بريطانيا: والذى يمتاز ببرودته، وهو ما كان له أثره فى :

هدوء أعصاب الشعب البريطانى مما جعلهم يتقبلون الأزمات والكوارث بتفكير هادئ، فيخرجون بأفضل الحلول المنطقية.

نجاح النظم الديموقراطية: حيث يقال أن النظم الديموقراطية قد صادفت لدى الشعوب ذات الأمزجة الباردة نجاحاً أعظم مما صادفته فى الشعوب التى تميل إلى المرح والطرب.

صفات تميز بها الشعب البريطانى:

عشق الشعب للحرية ورغبته الدائمة فى الإستزادة منها.

احترام الشعب للعادات والتقاليد والسوابق الدستورية.

حُسن التفاهم والإخلاص الذى ساد بين أعضاء الأحزاب السياسية البريطانية لزعمائهم، واحترام الكفاءات فيما بينهم.

امكانية الإختلاف فى الرأى: إذ أن الشعب البريطانى كان يسير على مبدأ (يمكننا أن نختلف)، حيث يرى البريطانى فى منافسه – الذى يخالفه الرأى– أن له مطلق الحرية فى أن يُعبر عن رأيه كيفما يشاء، طالما هدفه هو مصلحة البلاد، وهذه هى الديموقراطية.

خصائص النظام البرلمانى:

عدم مسئولية الملك أمام البرلمان عن شئون الحكم، على أساس أن الملك لا يخطئ"The King Can Do No Wrong"، وكان هذا المبدأ هو أحد المبادئ العرفية المُسلم بها فى القانون العام، وإليه يرجع الفضل فى إيجاد الوزارة فى النظام البرلمانى، لأنه طالما أن الملك لايخطئ، فكان لابد من إيجاد هيئة رسمية تتحمل الأخطاء التى ستتواجد فى نظام الحكم، فأصبح الملك لا يعمل منفرداً، إذ انتقلت اختصاصات الملك إلى الهيئة الوزارية، وهو ما دفع البعض أن يقول: (الملك يملك ولا يحكم).

المسئولية السياسية للوزاررة أمام البرلمان، فلقد كانت هذه المسئوليه الركن الأساسى فى قبام النظام البرلمانى، بل وحجر الزاوية فيه.

وجود تعاون بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية، أى التعاون بين الحكومة و الوزارة، وذلك فى ظل أن تقف جميع السلطات على قدم المساواة، دون أن تتبع أو تسيطر إحداها على الأخرى.

مضابط البرلمان (الهانسارد Hansard):

منذ أن وُجِد البرلمان البريطانى أولاً فى صورة مجلس العقلاء ثم مجلس الحكماء ثم المجلس الكبير كانت المناقشات سرية وكان من العرف ألاّ يُعلن عنها، حتى جاء عام 1376 عندما قرر مجلس العموم "أنه من الخير فى البداية أن يقسموا لبعضهم البعض أن يحتفظ المجلس بسرية مايُقال ويُقرّر فيما بينهم"، فكانت المداولات سرية أما القرارات فكانت تعلن للشعب، ومع ذلك لم يكن فى الإمكان منع الشعب البريطانى من الاحتفاظ بمذكرات يومية خاصة بما سمعوه عن هذه المناقشات، وفى خلال العصور الوسطى وُجدت صحائف لأعمال البرلمان التى ظهرت كسجلات شخصية لكتبة البرلمان، وكانت عبارة عن ملخص الخطب والقرارات التى أُتخذت فى البرلمان، وفى القرن السابع عشر تم الحد من تسجيلات الكتبة، وفى عام 1641 أجاز البرلمان طويل الأجل نشر تقرير يومى عن الأحداث البرلمانية فى الوقت الذى لم يكن فيه مسموحاً للأعضاء أن يطبعوا خطبهم الخاصة، وعندما اندفع أحد الأعضاء وهو السير إدوارد درنج "Edward Drnj" وقام بطبع مجلداً من الخطب عن المشاكل الدينية، فما كان من المجلس إلا أن قام بطرده ثم الزج به فى السجن.

☒ الدستور البريطانى:

وبريطانيا أقدم دول العالم عهداً بالدستور الذى كان أساساً لنظام الحكم فيها، ومنذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادى كانت مبادئ الدستور البريطانى موضع إعجاب العالم كله، حتى أصبحت نموذجاً تحتذيه أغلب الدول النيابية الحديثة. ومن أهم خصائص الدستور البريطانى ما يلى:

1- الدستور البريطانى أقدم دستور فى العالم، إذ يمتاز عن غيره من الدساتير العالمية بالعراقة، حيث أنه كان قائماً منذ صدور الماجناكارتا عام 1215م.

2- عدم الفصل التام بين السلطات الثلاث (التشريعية، التنفيذية، القضائية)، وهو ما إعتُبِر أحد أسباب قوة الدستور البريطانى، رغم أن "ايمانويل كانت" "Immanuel Kant" الفيلسوف الألمانى كان قد وصف الدستور البريطانى بأنه دستوراً قائماً على الفصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية واستقلال القضاء، وبالتالى فإن الحكومة النيابية فقط هى القادرة على مراعاة المبادئ الثلاثة الأساسية، أولا: مبدأ حرية جميع أعضاء المجتمع بوصفهم رجالاً، ثانياً: مبدأ خضوع الجميع لتشريع عام واحد

بوصفهم رعايا، ثالثاً: المساواة بين الجميع بوصفهم مواطنين، وهذا ما وجده كانت فى الدستور البريطانى.

3-للدستور البريطانى ميزة تطبيق روح القانون، أكثر من غيره من دساتير العالم.

4-لا يوجد شخص فوق القانون مهما كانت مكانته حتى الملك نفسه، وهذا لأن الملك ماكان لِيُصبح ملكاً إلاّ بفضل القانون.

5-تحديد وتوزيع الدستور لجميع السلطات حتى سلطات الملك ذاته، وعليه فقد كانت جمبع السلطات تمارس من خلال القانون.

6-يخالف الدستور البريطانى جميع دساتير العالم فى أنه مزيج من عادات وتقاليد سياسية نالت مع الزمن تقدير الشعب واحترامه، وأنه من نصوص تشريعية تقررت فى عهود مختلفة.

7-لم يتم تكليف هيئة نيابية (لجنة دستورية أو جمعية تأسيسية) مهمة تحرير دستور يكون حدّاً فاصلاً بين عهدين، عهداً ماضياً من الاستبداد، وعهداً قادماً بالحرية، بل جاء الدستور البريطانى نتيجة جهود أجيال متلاحقة على مدار مئات السنين، وهو مايعنى أن بريطانيا لم تنل حريتها مرة واحدة، ولكن نالتها على فترات متتالية.

8-الدستور البريطاني دستوراً مرناً، حيث أن قوانينه الدستورية تحتاج فى تعديلها إلى الإجراءات العادية المتبعة فى تعديل أى قانون عادى، فلم تكن هناك حاجة ماسّة إلى إحداث تعديلات جوهرية إلاّ فيما

يختصّ بقوانين الانتخاب، إذ أن قوانين الانتخاب دائما ما تحتاج إلى قواعد صارمة لتحديد شروط الناخبين والمنتخبين، ولكن يجب أن يُلاحظ أنه عند تغيير أو تعديل أى قانون من قوانين الدستور البريطانى يجب أن يحصل على موافقة جميع السلطات فى ظل اتفاق شعبى على ذلك، وهو مايعنى أن الدستور البريطانى دستورًا مرناً وقابلاً للتطور فى أى وقت.

9- الدستور البريطانى هو الدستور العرفى الوحيد فى العالم، وهذا لغلبة الأعراف الدستورية (العادات والتقاليد) على الدستور البريطانى، ولقد اعتادت الهيئات الحاكمة استعمال هذه الأعراف حتى أخذت صفة الإلزام.

10- الدستور البريطانى إذن دستوراً غير مكتوباً، إذ أن بريطانيا هى البلد الديمقراطى الوحيد الذى لايمكلك دستوراً مسطوراً، حتى قيل أنه لايوجد دستوراً بريطانياً على الإطلاق، وهذه المقولة ذات وجهان:

- الأول: أن الغالب على الدستور البريطانى أنه مستمد من الأعراف والعادات والتقاليد القومية والقيم البريطانية، حتى عُرِف هذا الدستور بالدستور العرفى.
- الثانى: هناك نصوص مكتوبة لقوانين عديدة، مثل الماجناكارتا 1215م، قانون الحقوق 1689م، قوانين الانتخاب، قوانين الصحة

والاقتصاد والمالية وغيرها، والتى تُعدّ مصدراً أساسيّا للدستور البريطانى.

من الملاحظ أنه خلال القرون الماضية كانت هنالك محاولات عديدة لتدوين الدستور البريطانى فى وثيقة واحدة، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، وكان ذلك لأسباب عديدة منها، أنه ليس هناك سبب يدفع البريطانيون لتدوين دستورهم، فبريطانيا ليست دولة حديثة الاستقلال حتى تكتب لنفسها دستوراً يؤكد وجودها، بل أن النظام البريطانى لايريد أن يقطع صلته بالماضى، وحتى لو نجح البريطانيون مستقبلاً فى تجميع دستورهم فى وثيقة واحدة، فإن الدستور البريطانى سيظل يحتفظ بوصفه دستوراً غير مُدَوّناً، إذ أن التدوين الذى يصف أى دستور هو ذلك التدوين الصادر من السلطة المختصة وقت إصدار القوانين.

خلاصة القول أن الدستور البريطاني بمواده المكتوبة كالجسد الضئيل الذى يطفو على قاعدة كبيرة جداً من العادات و التقاليد، أو هو كالكائن الحى الذى يكبر كلما صدر قانون جديد.

الشعب البريطانى والدستور: عُرِف عن الشعب البريطانى حبه الشديد للعدل والمساواة والحرية، تلك الحرية التى لم ينلها الشعب مرّةً واحدة، بل لقد كافح الشعب مئات السنين فى سبيل حصوله على حريّة مطلقة يحميها دستور قوى، ومن أجل ذلك أيضاً واجه الموت أثناء

الثورات البرلمانية لمقاومة الحق الإلهى للملوك فى حكم بريطانيا، بالإضافة إلى ذلك، إن الشعب البريطانى من الشعوب التى تحافظ على تقاليدها، وليس فقط أن يُبقى على نظمه القديمة، بل كان يحاول جاهداً أن يتحايل على هذه النظم كى يجعلها ملائمة لتطورات المجتمع، بالإضافة إلى عدم مَيله إلى التطور الحادّ والمفاجئ فى الحياة الدستورية، وكان يُفضّل أن تسير الحركة الدستورية باعتدال وهدوء للخروج بأفضل رؤية للقوانين، وهذا ماجعل من الدستور آلة ديمقراطية تتحرك دائماً وبدون توقّف من أجل إخراج قوانين تخدم مصلحة الجميع.

يستمدّ الدستور البريطاني حدوده وقواعده من ثلاثة مصادر: وهى السوابق القضائية، والعُرف الدستورى، والقوانين الأساسية.

☒ البرلمان البريطانى

يتكون البرلمان إما من مجلس تشريعى واحد، وإما من مجلسين تشريعيين، وفى بريطانيا كان البرلمان يتكون من مجلسين إذ كانت بريطانيا أول من أخذ بنظام المجلسين والمعروف بالنظام البرلمانى الثنائى، ذلك النظام الذى كان له من المميزات مادفع العديد من دول العالم للأخذ به مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا وإيطاليا ومصر الآن، وهذا النظام ما زال معمولاً به فى بريطانيا، ومن أهم هذه المميزات مايلى:

1-يمنع نظام المجلسين من استبداد السلطة التشريعية نفسها، فإذا استبد أحد المجلسين تشريعيا، أوقفه المجلس الآخر أو حد من سلطته.

2-يقلل نظام المجلسين من حدوث صدام مابين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، فإذا حدث نزاع ما بين أحد المجلسين (ممثلا للسلطة التشريعية) وبين الحكومة (ممثلا للسلطة التنفيذية) يقوم المجلس الآخر بدور الملطف للنزاع.

3-اتفاق البرلمان بمجلسيه فى الرأى غالبا يمثل الرأى العام ويعكس وجهة نظر الشعب.

4- يسمح نظام المجلسين أن يكون للطبقة الأرستقراطية تمثيلاً خاصاً بها فى أحد المجلسين، يعرضون فيه طلباتهم ويحصلون به على حقوقهم وحرياتهم، وهو ما يساعد على عدم تعرضهم ووقوفهم فى وجه حريات وحقوق العامة.

ونظراً لأن العالم قد أخذ عن بريطانيا نظام البرلمان الثنائى، لذلك يفخر الانجليز بتسمية البرلمان البريطانى باسم أم البرلمانات فى العالم "The Mother of Parliaments".

<u>من التقاليد البرلمانية البريطانية:</u>

1-لايجوز للملك دخول البرلمان وحضور جلسات، إذ كان العرش يرسل خطاباً يوضح فيه أنه وجد من غير المناسب . بالنسبه له . أن يحضر

الجلسة الإفتتاحية للمجلس الجديد، وعليه تم تكليف لجنة رسمية بالإفتتاح والإشراف على البرلمان، ولكن كانت هنالك حالات معينة يجوز للعرش أن يحضر فيها الجلسات البرلمانية منها ما يلى: القاء خطبة العرش فى إفتتاح الدورة البرلمانية، وإن أصبح ذلك من اختصاصات رئيس الوزراء أن يُلقى مثل هذه الخطب باسم الملك . ناهيك عن حل البرلمان.

2- وجود جندى من الشرطة فى ركن من أركان مجلس العموم، حيث أنه فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى تم إعادة طلاء البرلمان من الداخل، ونظرا لعدم جفاف الطلاء ،فقام المجلس بوضع ذلك الجندى لينبه الأعضاء أثناء دخولهم وخروجهم،ومن ذلك أصبح وجود ذلك الجندى تقليد برلمانى.

3-على الرغم من زيادة أعضاء مجلس العموم من وقت إلى آخر، إلا أن مقاعد مجلس العموم ظلت كما هى من حيث عددها منذ أن أُنشئ المجلس حتى يومنا هذا، وعلى الرغم من تقديم بعض الأعضاء للعديد من الطلبات لزيادة عدد المقاعد، إلا أن رئيس مجلس العموم رفض ذلك وبشدة، معتبراً بقاء الحال على ما هو عليه من التقاليد البرلمانية.

4-على الرغم من انتشار المقولة التاريخية (الملك فى البرلمان) "The King in Parliament"،إلاّ أن ذلك قد تغيّر، إذ أصبحت الجلسة

الإفتتاحية تبدأ بكلمة من رئيس المجلس المُنحلّ يُخبر فيها الأعضاء أن الملك يشعر أنه من غير المناسب أن يحضر الجلسة الافتتاحية للمجلس الجديد، لذلك تم تكليف لجنة رسمية مكونة من خمس لوردات يُعرفوا بإسم المفوّضين بافتتاح وعقد البرلمان، ثم يقوم الحاجب بقراءة خطاب التفويض أوّلاً، ثم يُطلب من أعضاء مجلس العموم بناءاً على الأمر الملكد أن يختاروا من بينهم رئيسا لمجلسهم (المتحدث)، ثم يقرأ رئيس المجلس الصلوات وهو جالس ويقسم – طبقا للقانون– أن يحافظ على النظام داخل جنبات المجلس، ثم يتم تسليم شهادة بالست عشر لورداً– وهم لوردات اسكتلندا–، بعد ذلك يقدّم قائد الجيش للبرلمان قائمة بأسماء اللوردات الروحانيين وتُترَك القائمة بالأمرعلى المنضدة، وأخيراً يقسم باقي اللوردات، وعقب ذلك ينفضّ المجلس فى الساعة الرابعة والنصف، على أن يجتمع ثانية فى اليوم التالى الساعة الثانية ظهراً.

5–قراءة الصلوات من الكتاب المقدس داخل البرلمان بمجلسيه، وكانت تستمر لمدة خمس دقائق.

6–يُمنع على الأعضاء منعًا تامًا قراءة الصحف، أو تحرير أية خطابات، أو المرور أو التردد بين المقاعد أثناء انعقاد جلسات المجلس.

7–تواجد أقدم ثلاثة من أعضاء المجلس يرتدون الأرواب والشعر المستعار ، وجلوس هؤلاء الأعضاء أسفل منصة الرئيس.ند خروج

عضو من أعضاء المجلس عن اللهجة المألوفة وتجاوز فى كلامه مع غيره من الأعضاء، تعلو الأصوات داخل المجلس "لا تضرب تحت الحزام".

8-يتم دفع مبلغ 400 جنيه إسترلينى لعضو البرلمان كبدل سفر من وإلى البرلمان، وقد بدأت مناقشة هذا الاقتراح عام 1780م عندما عُيّنت لجنة مُنتَخبة برئاسة "شارل جيمس" "Charles James"، الذى أوصى بضرورة دفع مرتبات أعضاء البرلمان إلاّ أنه قوبل بالرفض.

☒ النظام الحزبى فى بريطانيا

من المعروف عن النظام الحزبى فى بريطانيا أنه نظام ثنائى الأحزاب " Two-Party System"، وهذا النظام الذى يتوافر فيه شروط عديدة من أهمها:

1-جود حزبين كبيرين متعادلين فى القوة تقريباً.

2-يجب أن يتمكن أحد هذين الحزبين من كسب الأكثرية اللازمة فى الحكم دون مساندة حزب ثالث.

3-تناوب الحزبين على الحكم.

4-كل حزب يمثل مجموعات مختلفة من الشعب.

الجدير بالذكر أنه منذ أن ظهرت فكرة الأحزاب بمعناها الحديث فى بريطانيا، وقد وُجِدَ حزبان كبيران، ففى القرن الثامن عشر كانت جماعة

الويج وجماعة التورى، وفى القرن التاسع عشر تحول اسم هذين الجماعتين، فأصبحت جماعة التورى تُعرف بالمحافظين، بينما عُرِفت جماعة الويج بالأحرار، وفى بداية القرن العشرين كان الصراع بين المحافظين والأحرار، حتى ظهر حزب العمال والذى كان ظهوره ايذاناً بنهاية حزب الأحرار.

يعتبر الحزبان البريطانيان صديقين وخصمين فى نفس الوقت، فهما صديقين متى تعاونا من أجل مصلحة البلاد، وهذا لا ينفى شدة تنافس كلٌ منهما مع الآخر من أجل الوصول للحكم، وهذ التنافس بين الحزبين أفضى إلى ما سُمىَ بالأغلبية البرلمانية، والتى تعنى حصول الحزب على معظم المقاعد فى مجلس العموم ولم تكن العلاقة بين الأحزاب السياسية فى بريطانيا دائماً تسير فى طريق الصراع الحزبى والعراك السياسى، لكن كانت تشوب هذه العلاقة الكثير من المجاملة، تلك المجاملة التى ظهرت بشكل جلى فى خطبة ألقاها بلفور رئيس الوزراء البريطانى فى عام 1902م : " أن الإعتدال فى طبع الانجليزى ، يساعده على أن يكون خصماً سياسياً دون أن يتعرض لخصمة ويصفه بكل نعت مُشرف، فالانجليز فى السياسة كالمحامين فى المحكمة، يعتقد كل منهم بصحة رأيه، ولكنهم لا ينسون أبداً واجب المجاملة فلا يكيل أحدهم الشتائم لمناظره، وإذا خرجوا من دار المحكمة خرجوا أصدقاء".

وكان الحزب يمر من الحُكم إلى المعارضة ومن المعارضة إلى الحكم، لذا وجب إلقاء الضوء على الحزب فى المعارضة، فيمكن القول بأن المعارضة هى مؤسسة رسمية معترف بها كعنصر أساسى فى النظام السياسى البريطانى يحمل فيه زعيم المعارضة لقباً رسمياً هو زعيم معارضة جلالة الملك، ويلعب زعيم المعارضة هذا دوراً أساسياً فى تحديد جدول أعمال مجلس العموم بالتنسيق مع رئيس مجلس العموم وزعيم الأغلبية، ويقوم زعيم المعارضة أيضاً بتشكيل حكومة تُعرف بحكومة الظل "The Shadow Cabinet" والتى كانت تتألف منه ومن زعماء المعارضة البرلمانية المُحتمل إشتراكهم فى الوزارة الجديدة التى يُنتظر أن تُشكل عندما يتولى حزبهم مقاليد الحكم، فأصبحت الأكثرية البرلمانية لا تنظر إلى حزب المعارضة على أنه مُعطل لأعمال الحكومة، بل تنظر إليه على أساس أنه جزء لا يتجزأ من الأمة البريطانية.

إن وجود هذه المعارضة فى الحياة البرلمانية البريطانية يعتبر ضمانة لحسن أداء الحكومة والرقابة على أعمالها، وإيجاد حلول بديلة مدونة ومنع تعسف الحزب الحاكم فيرده إلى الإعتدال ورعاية المصلحة القومية لا مصلحة أعضائه، وهذا المركز السامى الذى وصلت إليه المعارضة يرجعه البعض إلى تقاسم الرأى العام بشكل متساوٍ، تقريباً بين الحزب الحكم وحزب المعارضة، فتتعامل الأغلبية مع المعارضة معاملة الند للند، حيث يتناوب الحزبان على كراسى الحكم بشكل فعلى، فالمعارضة اليوم هى حكومة الغد. هناك ملاحظة هامة مؤداها أن

المعارضة الممثلة فى حزب المعارضة يظل أكثر اتحاداً وتماسكاً من الحزب الحاكم، فمهما يكن النزاع داخل الحزب المعارض فإن أعضاؤه يبقون على إتفاق لمقاومة الحزب الحاكم من أجل الحلول مكانه، فإذا انتصر حزب المعارضة فى المعركة الإنتخابية وحل عليه الدور إلى عملية تفكك فى الحزب تضعفه لمصلحة خصمه.

الفصل السابع

الأزمات الدولية التى مهدت للحرب العالمية الأولى

☒ أزمة مراكش 1906 – 1911 م

في أعقاب الاتفاق الودي 1904م فاوض "دلكاسيه" وزير خارجية فرنسا بشأن تقسيم مراكش دولة أسبانيا التي أقتنعت بالاستيلاء على (إقليم الريف) الشريط الساحلى من مراكش الذى يواجه ساحلهم عند جبل طارق، فلم يبق أمامها من معارض سوى ألمانيا التى كانت تهتم بمراكش، وتعمل على منع فرنسا من بسط سيطرتها عليها، فقام الإمبراطور "وليم الثانى" بالنزول فى ميناء طنجة فى مارس 1905 وألقى خطبة، أكد لسلطان مراكش أن ألمانيا تعتبره سلطاناً مستقلاً آملاً تحافظ مراكش على سياسة الباب المفتوح. فى عام 1905 اقترح الكونت "شليفن" رئيس هيئة أركان الحرب الألمانية على حكومته إقحام حرب على فرنسا لاختبار متانة الاتفاق الودى الإنجليزى الفرنسى بشن هجوم دبلوماسى قوى. وبسبب هذه الأحداث اضطرت فرنسا تجنباً للحرب إلى إحالة الأمر على مؤتمر دولى.

ففى 16 يناير 1906 عقد مؤتمر فى الجزيرة الخضراء، وحضره ممثلو اثنتى عشرة دولة وسرعان ما تحول هذا المؤتمر إلى صراع سياسى بين ألمانيا وفرنسا، حصلت فرنسا على تأييد صريح من روسيا وبريطانيا وأسبانيا وإيطاليا، فى حين كان تأييد النمسا لألمانيا فى

المؤتمر تأييداً فاتراً، فى المؤتمر انتصرت فرنسا لأنها حصلت على نصيب الأسد فى السيطرة واستبعدت ألمانيا وحلفاؤها كلية من الشرطة، فى حين نالت ألمانيا نجاحاً فى الرقابة المالية وفرض التجارة، فقد تأسس مصرف الدولة تحت إشراف الدول الأربع ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وأسبانيا، وأسندت قيادة قوة أمن الموانئ إلى ضباط فرنسيين وأسبانيين. فى أبريل 1911 انتهزت فرنسا فرصة الوضع الداخلى فى المغرب، فأرسلت حملة حربية إلى فاس لمساعدة سلطان المغرب، فأثار هذا العمل ألمانيا وأرسلت فى أول يوليه 1911 الطراد الألمانى بانتر إلى ميناء أغادير، وأمام المخاوف الفرنسية والبريطانية من الوصول إلى حرب مع ألمانيا، بدأت المفاوضات بين فرنسا وألمانيا من أجل الوصول إلى تسوية لهذه المشكلة، وهكذا اتفقت الدول الاستعمارية فيما بينها على حساب مراكش.

استغلت كل من إيطاليا وبروسيا أزمة أغادير لتحقيق أطماعها فوجهت إيطاليا إنذاراً نهائياً إلى تركيا فى 26 سبتمبر، وأعلنت الحرب عليها بعد ثلاثة أيام، واحتلت شواطئ طرابلس وجزر الدوديكانيز- 12 جزيرة فى بحر إيجة ، أهمها رودس-. على أن الأزمة انتهت بعد مفاوضات استمرت إلى 4 نوفمبر 1911 باتفاقية أصبحت المغرب بمقتضاها فرنسية فيما عدا طنجة والمنطقة الأسبانية، ولم تحتفظ ألمانيا إلا "بالباب المفتوح" للتجارة وتم تعويضها فى الكنغو الفرنسي.

☒ أزمة ضم البوسنة والهرسك 1908م

أن بقاء مقدونيا تحت الحكم العثمانى أثبت أنه مركز مزمن للاضطراب والقمع والشدة، وكان التهجم والامتعاض عظيمين فى أوربا، حينما عرف أن النمسا بدون علم حليفتها ألمانيا، ضمت البوسنة والهرسك فى أكتوبر 1908، وأن بلغاريا بتشجيع النمسا أعلنت نفسها مملكة مستقلة عن الباب العالى، وقد رأت النمسا أن الفرصة سانحة لها لضم هذين الإقليمين الذين تحملت عبء إدارتهما منذ مؤتمر برلين 1878 حيث وقعت البوسنة والهرسك تحت الاحتلال النمساوى المجرى. تم التصديق على بيان الإمبراطور النمساوى بموجب معاهدة عقدت فى استانبول – نصت عل ى إلحاق البوسنة والهرسك بالنمسا، وكان هذا فى 26 فبراير 1909، وكانت جمعية الاتحاد والترقى هى القابضة على زمام الحكم فى الدولة العثمانية بعد أن أسقطت السلطان عبدالحميد الثانى من على عرش الحكم العثمانى، لذلك حدثت احتجاجات شعبية فى استانبول تندد بإلحاق البوسنة والهرسك بالنمسا، وظهرت شائعات تقول بأن حكومة الاتحاد والترقى " باعت " البوسنة والهرسك للكفار

لذا فقد ألهب ذلك شعور السخط فى جميع أنحاء صربيا ، كما اعتبرت روسيا أن ذلك ضربة غادرة موجهة لها من جانب النمسا ، خاصة وأن ذلك جاء بعد هزيمتها أمام اليابان عام 1905 ، جعلها ضعيفة لا تستطيع أن تواجه النمسا بأى عداء ، مما أدى إلى تراجعها

وتخاذلها ولم تصعد المشكلة، خاصة وأن الإنجليز أصدقاء الروس عارضوا فى فتح المضايق لمرور السفن الروسية فيها ، ولكن تخاذل روسيا كان ضربة لصربيا حليفتها، فأعلنت روسيا أنها لا تمانع فى ضم البوسنة والهرسك إلى النمسا أمام الضغط الألمانى، وقد تسبب ضم البوسنة والهرسك من جانب النمسا إلى ازدياد التوتر والاضطراب فى منطقة البلقان، كما أدى إلى الصراع السياسى بين كثير من الدول الأوربية. وعندما انسحبت الدولة العثمانية من بلاد البوسنة والهرسك لدولة النمسا والمجر، وقعت لأول مرة أعداد كبيرة من المسلمين تحت حكم غيرهم، فهاجر الكثير منهم إلى الأناضول والبلاد الأخرى التى بقيت تحت الحكم العثمانى، وكان الحكم النمساوى قاسياً على المسلمين بسبب الاضطهاد ومحاولات التنصير من طرف الكاثوليك، مما أدى إلى هجرة الكثير من المسلمين إلى تركيا.

☒ الحرب التركية الإيطالية 1911 – 1912 م

أخذت إيطاليا تفكر فى إنشاء إمبراطورية فى أفريقيا، فأعلنت حرباً على الدولة العثمانية بعد أن حصلت على اعتراف الدول الكبرى باحتلال ليبيا، وأنزلت قواتها على الشواطئ الليبية واستولت على جزر الدوديكانيز فى بحر إيجة. ففى 26 سبتمبر 1911 أرسلت إيطاليا إلى تركيا إنذاراً أن تصدر تركيا أوامرها إلى قواتها بعدم التعرض للقوات الإيطالية، وانتشرت الأخبار بأن الباخرة التركية "درنة" فى طريقها إلى طرابلس محملة

بالأسلحة والذخائر، فقدمت إيطاليا إلى الباب العالى مذكرة أشارت فيها إلى الأخطار التى تهدد الرعايا الإيطاليين فى طرابلس، وحذرت تركيا من أن إرسال السفن والمهمات الحربية سيعتبر عملاً غير ودى، ثم قدمت إيطاليا إنذارها إلى تركيا فى اليوم التالى بأن ضرورة ملحة لإنهاء حالة الفوضى والإهمال فى طرابلس وبرقة، وأن إيطاليا تطلب إجابة قاطعة من تركيا خلال أربع وعشرين وفى حالة عدم الإجابة ستكون إيطاليا مضطرة لأن تتخذ الخطوات اللازمة لتنفيذ الاحتلال.

ردت تركيا على الإنذار الإيطالى وأظهر الرد للإيطاليين حسن نية تركيا حيال إيطاليا ومشروعاتها الاقتصادية فى طرابلس وبرقة، وأكد لهم أن الحالة فى طرابلس لا تهدد بالخطر وأن تركيا على أتم استعداد لكى تمنح إيطاليا امتيازات اقتصادية كافية فى هذه الولاية، على ألا يؤثر ذلك على السيادة العثمانية، وعلى ألا تقدم إيطاليا على احتلالها عسكرياً، فى 29 سبتمبر أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا، وقد جاء التوقيت مناسباً حيث انشغال تركيا بمشاكلها الداخلية فى البلقان. وبعد أن فشلت إيطاليا فى إرغام تركيا على التنازل لها عن ليبيا قررت ضم ليبيا رسمياً فى فبراير 1912 ، ومن ناحية أخرى أرغم نشوب حرب البلقان فى أكتوبر 1912 تركيا على أن تعقد صلح " لوزان مع إيطاليا، وفى هذه المعاهدة تنازلت تركيا عن ليبيا لإيطاليا.

☒ الحروب البلقانية Balkan Wars (1912 – 1913)

تمت مقابلة بين ملك إنجلترا وقيصر روسيا فى ريفال فى ظروف الوفاق الودى 1907 لتصفية الخلاف بين الدولتين وفهم من هذا الوفاق أنه مساومة استعمارية بينهما على حساب الدولة العثمانية، فكان لابد من تحرك الضباط الأتراك لإيقاف هذه المؤامرة الخارجية، إلا أن الضباط أرسلوا إلى السلطان عبد الحميد يطالبونه بإعادة دستور 1876 الذى عطله فى 1878، وفى 24 يوليو 1908 أعلن السلطان إعادة الدستور وإلغاء الرقابة والجاسوسية وإجراء انتخابات لمجلس المبعوثان، قوبل إعلان الدستور بابتهاج بالغ فى كافة أنحاء الإمبراطورية، فأعلن أنور باشا أن الحكومة الاستبدادية قد انتهت وأصبح الجميع متساوون سواء بلغار أو يونانيون أو رومانيون أو يهود أو مسلمون نفخر بأننا عثمانيون، وفى مدينة سيريس تعانق رئيس جمعية الاتحاد والترقى فى بلغاريا مع البطرق اليونانى، وفى " دارما " سَجَنَ الضباط الأتراك أحد الأتراك لأنه أهان مسيحياً – وفى إحدى الكنائس الأرمينية اجتمع عدد كبير من الأتراك والأرمن للصلاة على روح ضحايا المذابح الأرمينية.

وفى أبريل 1909 قامت اضطرابات فى العاصمة العثمانية على يد حركة موحدة بين العناصر الرجعية من أنصار السلطان عبدالحميد "وجمعية الاتحاد الحر" واحتل فريق من الجنود بقيادة أحد الألبان باحتلال البرلمان وقتل ضابطين من أعضاء جمعية الاتحاد والترقى كما قتل وزير العمل وجرح وزير البحرية، وفى نفس الوقت بدأت مذابح الأرمن فى بعض المدن، ويعتقد البعض أنه لولا هذه المذابح لكان فى إمكان

عبدالحميد أن ينجز الانقلاب الرجعى، فلما بلغت أنباء هذا الانقلاب سالونيك زحف محمود شوكت بقواته إلى العاصمة لحماية الدستور بالقوة واجتمع مجلس المبعوثان فى سان استيفانو فى شكل جمعية وطنية وأعلن موافقته على خلع السلطان عبدالحميد على أساس فتوى من شيخ الإسلام، وكان فى مقدمة الوفد ارباعى الذى تقدم إلى القصر السلطانى ليبلغ عبدالحميد نبأ عزله المحامى اليهودى عمانويل كاراسوافتوس أحد قادة الحركة الماسونية فى سالونيك، ثم تم تولية السلطان محمد الخامس الذى ظل ألعوبة فى يد الاتحاد والترقى الذين سيطروا على الحكم فى تركيا بزعامة أنور باشا حتى الحرب العالمية الأولى وهم الذين دخلوا الحرب فى جانب ألمانيا. الجدير بالذكر أن الأحداث تلاحقت، فكانت ثورات البوسنة والهرسك وبلغاريا وكريت، فأثارت هذه الثورات مشكلة النزاع بين المسلمين والمسيحيين من جديد.

ولم تمر إلا فترة قصيرة حتى شرعت دول عصبة البلقان فى إعادة النظر فيما حصلت عليه، وبالتالى بدأت حرب البلقان الثانية (الحرب بين دول العصبة) فى 25 يونيه 1913، فقد أعلنت بلغاريا فجأة الحرب على الصرب واستولت على قلب مقدونيا، ولكن سرعان ما دخلت اليونان الحرب إلى جانب الصرب ضد بلغاريا، وكانت النتيجة هزيمة القوات البلغارية، وانتهزت رومانيا هذه الظروف وأعلنت الحرب ضد بلغاريا وتقدمت قواتها حتى هددت صوفيا العاصمة البلغارية، وفى نفس الوقت تمكنت تركيا من استعادة أدرنة ، فاضطرت بلغاريا إلى عقد معاهدة

بوخارست فى 10 أغسطس 1913 وفيها استعادت تركيا أدرنة، وبذلك أغلقت المنافذ البحرية فى وجه بلغاريا وانضمت كريت إلى اليونان وظهرت دولة مستقلة جديدة وهى ألبانيا لتمنع وصول الصرب إلى البحر الأدرياتى.

وأصبحت الدولة العثمانية مهددة بالانهيار بعد أن أضحت دول البلقان مستقلة فعلاً، ولم تعد تابعة لأية دولة، غير أنه ظهر فى أواخر الحرب البلقانية 1912 – 1913 اتجاه جديد بعيد عن الفكرة الإسلامية وعن الجامعة العثمانية، هذا الاتجاه هو الحركة الطورانية – فقد كان استيلاء الأتراك فى أواخر هذه الحركة على أدرنة، أول عاصمة أوربية لهم (القسطنطينية) فى يوليو 1913 قد أثار ذكريات الانتصارات التركية القديمة ومجدهم وارتفعت مكانة أنور باشا الذى كان يمثل بعث العسكرية التركية والذى أصبح بطلا وطنيا بعد انتصاره فى 1913.

☒ حادث سراييفو Sarajevo 28 يوليو 1914

كانت العلاقة بين النمسا وصربيا تسير من سئ إلى أسوأ والولايات اليوغسلافية المتفرقة حانقة على الحكم النمساوى، فتوالت المؤامرات لقتل كبار الموظفين النمساويين، في الوقت الذي كان فيه ولى عهد النمسا الأرشيدوق فرانز فردناند من أكثر المتشددين إزاء المشكلة الصربية ويرى أنه لا يمكن تسويتها إلا بالقوة، ورأى تمهيداً لذلك جلب البوسنة إليه فزار عاصمتها سراييفو لهذا الغرض فى 28 يونيو 1914،

أطلق عليه أحد طلاب المدارس العالية وعضو جمعية اليد السوداء الصربية ويدعى غفريلو برنسيب النار فقتله هو وزوجته، فأقدمت الحكومة النمساوية ومؤيدتها الحكومة الألمانية على التذرع بهذا الجرم لتخطو خطوة واسعة فى أوربا. ففى يوم 23 يوليو 1914 قدمت الحكومة النمساوية إنذاراً نهائياً شديد اللهجة إلى الصرب قصد به أن يقابل بالرفض إذ كان ينطوى على تقويض استقلال الصرب وقد تضمن الإنذار عدة مطالب، وكان أول خاطر جال فى الأذهان هو أن الحكومتين النمساوية والألمانية تريدان أن تتخذا من هذه الجريمة نكاية لسلب صربيا استقلالها، وربما أيضاً لإقحام حرب عامة على روسيا وفرنسا قبل أن تستكمل السكك الحديدية الروسية، وتصبح معدة للقيام بأعباء الحرب، هذا برغم قبول صربيا سبعاً من العشر التى حواها الإنذار النهائى النمساوى، وذلك أن الجيش الذى تعطش طويلاً إلى تأديب "أمة القتلة والسفاحين " لم يقصد أن تفلت من أنيابه هذه المرة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق المنشورة:

- **مضابط البرلمان البريطاني:(Hansard): وهي موجودة بالمخزن الإفرنجي بجامعة القاهرة.**
- **قانون الماجناكارتا (Magna Charta)**

ثانياً: الرسائل العلمية:

- **عبدالله إسماعيل البستانى:حرية الصحافة دراسة "مقارنة فى فرنسا، انجلترا، العراق"، رسالة ماجستير، جامعة فؤاد الأول، كلية الحقوق، 1950.**
- **محمد سيد إسماعيل: الحياة النيابية في بريطانيا (1832-1919)م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب، 2012.**

ثالثاً:المراجع العربية:

- **أ.ج . جرانت، هارولد تمبرلي: أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950)، ترجمة؛ بهاء فهمي وآخرون، ج1، القاهرة، 1982.**
- **أحمد طاهر: أفريقيا "فصول من الماضي والحاضر"، دار المعارف، 1975.**

- أشرف صالح محمد سيد(د): أصول التاريخ الأوروبى الحديث، دار تاشرى للنشر، الكويت، ط 1، 2009.
- ألبان .ج . ويدجري:التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي، ترجمة؛ عبد العزيز توفيق جاويد، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1966.
- بول ريفال:"سلسلة اعلام ومشاهير"؛ "هنري الثامن وزوجاته الست"، إشراف؛ رووف سلامة موسي: دار ومطابع المستقبل بالفجالة والإسكندرية ومؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت (ب.ت).
- بول كولز: العثمانيون في أوربا، ترجمة ، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
- جلال السيد، سامى مهران: البرلمان المصرى (تقاليد.رقابة.تشريع)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1984.
- جلال يحيي (د): عصر النهضة والعالم الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية، 1979.
- ـــــــــــــــ: فجر التاريخ الحديث ، دار الكتب الجامعية ، 1976

- ـــــــــــــــــــــــ: مصر الحديثة (1517-1805)، منشأة المعارف بإلاسكندرية، (ب .ت)
- ـــــــــــــــــــــــ: معالم التاريخ الحديث، منشأة المعارف بإلاسكندرية، 1976
- جورج ليفيبر: عصر الثورة الفرنسية، تعريب؛ د.جلال يحيي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979.
- جوندولين كارتر، جون هيرز: نظام الحكم والسياسة فى القرن العشرين، ترجمة؛ ماهر نسيم، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، 1962.
- حافظ عفيفى باشا(د): الإنجليز في بلادهم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1935.
- خالد عزب: المسلمون واكتشاف الأمريكتين، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،1993.
- دافد وطسن دانى: تاريخ أساس الشرائع الإنكليزية "سنة الإرتقاء فى نظام الحكومة الإنكليزية" (مصدر القوانين الأساسية للحكومات الدستورية)، ترجمة؛ نقولا فندى حداد المكتبة الشرقية، القاهرة، 1906.

- زينب عصمت راشد (د) المختصر في تاريخ أوربا الحديث "من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر"، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، **1984**.
- ستيفن أوزمنت، فرانك ترنر: التاريخ من شتي جوانبه، ترجمة؛ د.أحمد حمدي محمود، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، **1993**.
- سعيد عبد الفتاح عاشور (د) : أوربا العصور الوسطي "التاريخ السياسي"، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، **1975**.
- ــــــــــــــــــــــــــــ: أوربا العصور الوسطي "النهضات والحضارات، والنظم"، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، **1978**.
- سليمان محمد الطماوى(د): الديموقراطية والدستور الجديد،القاهرة،**1971**.
- سيدنى د.بابلي: الديموقراطية البرلمانية الإنجليزية، ترجمة؛ فاروق يوسف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، **1970**.
- صلاح أحمد هريدي (د): تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ، **2001**.

- ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ: دراسات في التاريخ الأمريكي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،2000.
- عاطف وصفي (د): كوندرسيه، دار المعار ، ط2، 1987.
- عبد الحميد البطريق (د): التيارات السياسية المعاصرة (1815-1960)، بيروت، 1974.
- ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ، عبد العزيز نوار(د): التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر ڤيينا، بيروت، (ب.ت).
- عبد الحميد متولى(د):أضواء على النظامين البرلمانى والرئاسى، مطبعة مخيمر، الخرطوم، 1967.
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (د): التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، دار الكتاب الجامعي ، ط3 ، 1986.
- عبد العزيز سليمان نوار (د): تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، (ب.ت).
- ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ، عبد المجيد نعنعي (د): التاريخ المعاصر "أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية"، بيروت، 1989.

- عبد العزيز محمد الشناوي (د): أوربا في مطلع العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982.
- عبد العظيم رمضان (د): تاريخ أوربا والعالم في مصر الحديث، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970.
- فرانكلين . ل. باومر: الفكر الأوربي الحديث"القرن الثامن عشر"، ترجمة؛ د.أحمد حمدي محمود، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988.
- القس دي وزا: التاريخ الأسود للكنيسة، ترجمة؛ ياسر حطيبة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، قبرص، الدار المصرية للنشر والإعلام، القاهرة ، ط1 ،1994.
- محمد عبد الرحيم مصطفي وآخرون: اصول العالم الحديث، دار القاهرة للطباعة ، 1957.
- محمد عبد الله عنان: تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع (دار عالم المعرفة)، القاهرة، 1991.
- محمد فريد السيد حجاج: صفحات من تاريخ الصومال، دار المعارف 1983.

- مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، بحوث عن "أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.
- ميلاد القرحي (د): تاريخ أوربا الحديث والمعاصر "من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية"، الجامعة المفتوحة، ليبيا ، 1995.
- هـ. أ. ل. فشر: تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789-1950)، ترجمة؛ أحمد نجيب هاشم، وديع الضبع، دار المعارف بمصر، ط9، 1993.
- هـ.ج.ولز:معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة؛ عبد العزيز توفيق جاويد، المجلد الرابع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.
- يسري الجوهري (د): الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط3، 1976.
- يسري الجوهري (د): شمال أفريقيا، منشأة المعارف بإلاسكندرية، 1976.

المراجع الأجنبية

- F. Pollard: The History of England (A Study inPolitical Evolution), Biblio Bazaar, 2007.

- Cbban, Alfred, A History Of Modern France 1715-1799,Vol. 1 ,New york,1977.
- Creasy,Edward S.: History Of the Ottman Turks, Beirut, 1968.
- Dehrain, Hernri,Hernri : L 'Egypte Turque, Tome V.,Paris, 1931.
- John Cannon & Anne Hargreaves: The Kings & Queens of Britain, Oxford University Press, USA, 2001.
- John Cannon & Anne Hargreaves: The Kings & Queens of Britain, Oxford University Press, USA, 2001
- Kammerer: La MerRouge , Le Caire , 1935.
- Lucinda Maer and Oonagh Gay: The Bill of Rights 1689,House of Commons Library, 2009.

- Lucinda Maer: The Act Of Settlement And The Protestant Succession, House of Commons Library, 24 January, 2011.
- Mrs. Markham: A History of England from the First Invasion by the Romans to the End of the Reign of George the Third, Vol. II, John Murray, London.
- Nevil Johanson: Reshaping The British Constitution (Essays In Political Interpretation), New York, Palgrave Macmillan, 2004.
- Pennington, D.H: A General History Of Europe Seventeenth Century Europe ,London, 1970.
- T. F. Tout: The History of England (From the Accession of Henry III to the Death of Edward III 1216-1377), Longman, London, 1905.
- William Anthony Hay : The Whig Revival (1808-1830), Palgrave Macmillan, New York, 2005.